

الجهاد في مواجهة الغلو

بدائل لخطاب جماعات الغلو في حوض بحيرة تشاد

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1442هـ - 2021م

أفق للدراسات والنشر



أفق

بريطانيا - لندن

ufoq.ai@gmail.com

الجهاد في مواجهة الغلو

بدائل لخطاب جماعات الغلو في حوض بحيرة تشاد

د. منصور عيسى يلوا





إهداء

هذا الكتاب إهداء لأولئك العلماء الجهابذة الذين بذلوا أقصى وسعهم،
وجاهدوا بأفكارهم في الجهاد ضد التطرف والعنف، وبالأخص، أولئك الذين لقوا
حتفهم في سبيل ذلك، أمثال: الشيخ جعفر محمود آدم كانو، والشيخ محمد أول
ألباني زاريا، والشيخ إبراهيم عبد الله غوماري ميدغوري، وغيرهم...



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ

تمهيد:

هذا الكتاب «الجهاد في مواجهة الغلو - بدائل لخطاب جماعات الغلو في حوض بحيرة تشاد» عبارة عن بحث يحتوي على أفكار، ومراجع، وحجج، وشبه لبعض الجماعات المتطرفة، مقروناً بالردود والمناقشات لتلك الشبه من خلال الحوار الفكري. والكتاب يمثل المنهج القويم للعقيدة الإسلامية الصحيحة المستمدة من المصادر الإسلامية وشروحها لمجموعة من مشاهير علماء الإسلام.

احتوى الكتاب على أهم مواضيع وأفكار الجماعات المتطرفة، وما يقابلها من وجهات نظر المؤلفين الذين يمثلون المنهج الإسلامي الصحيح. واختتم الكتاب بوضع عدد من الاقتراحات عن كيفية مكافحة العنف بشكل فعال. أمّا ما يتعلق بآراء هذه الجماعات، فقد تم الإحالة إلى كتابات ومحاضرات هذه الجماعات المتطرفة. واقتصر الكتاب على إيراد المصادر الإسلامية التي توثقها هذه الجماعات، وهي القرآن والسنة على ضوء شروح العلماء الذين تعتبرهم هذه الجماعات حجة لهم. كما أنه يساعد على معرفة كيفية شرح وتطبيق هذه النصوص، فهو كذلك يكشف عن معاني هذه النصوص الحقيقية الصحيحة لا كما أساء فهمه وإدراكه وتطبيقه هؤلاء المتطرفون.

والقصد من هذا الكتاب هو أن يكون نبراسًا ودليلاً لكل من يريد الاطلاع
ومعرفة أفكار الغلاة والمتطرفين وآرائهم. ومن وجه أخص، يكون هذا الكتاب نافعاً
لطلبة العلم وخاصة الشباب منهم، كذلك فإنه يكون مرشداً في مناقشة ومحاكمة
أفكار المتطرفين، كما أنه يكون درعاً وحاجزاً منيعاً للشباب من الوقوع في شرك
الغلو والتطرف العنفي.

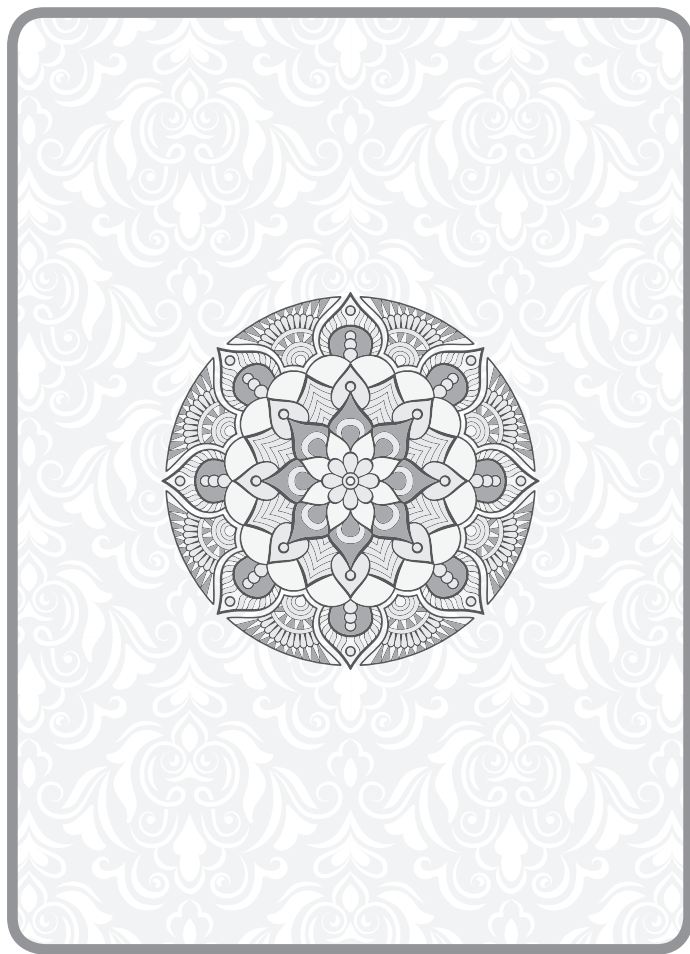


شكر وتقدير

بدايةً نقدم شكرنا لله عزَّ وجلَّ خالقنا ورازقنا، نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن نهج منهجهم إلى يوم الدين.

بناءً على قول الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»، فإننا نقدم شكرنا الجزيل لكل من ساهم بأي وجه كان - مباشرة وغير مباشرة، مادياً ومعنوياً، ظاهراً وباطناً - في إتمام وإنجاز هذا العمل الميمون. وهذا يشمل جميع العلماء المحترمين، والمؤسسات الخيرية ممن ساهموا في إنجاز هذا العمل كمراجعين ومصححين ومقرئين ونحوهم.





التقريظات

هذه مجموعة من تقريظات مختارة، والتي قام بإصدارها مشاهير العلماء والباحثين في جميع أنحاء نيجيريا الذين قرأوا الكتاب وأعربوا عن قناعتهم بمحتواه. ولقد تم التحفظ على نشر أسمائهم، والاكتفاء بذكر ولاياتهم حرصاً على سلامتهم.

(١) ولاية غومبي.

(في الحقيقة، أقدر جهود هؤلاء الباحثين في كشف عدد من القضايا الإيديولوجية/ الفكرية المتعلقة بالتطرّف إلى فهم الجميع «المسلم وغير المسلم»، هذا بلا شك سيوضح الإشكالات والتصورات الخاطئة بين هذه الأفكار التطرفية وبين الإسلام، وعليه؛ فأجيز طباعة وتوزيع هذا الكتاب، وآمل أن يكون الكتاب مرجعاً قيماً للباحثين في القضايا المتعلقة بالتطرّف).

(٢) ولاية نيجر.

(أهنئ مؤلفي هذا الكتاب على هذا العمل المميز. وأنا متفائل جداً بأنه سوف يوضح الكثير من الأفكار الخاطئة للجماعات المتطرفة، كما أنه سيحصّن الشباب الآخرين من الانتماء إلى هذه الجماعات. وسيقدم هذا العمل الفرصة لدعاة الإسلام أن يعلموا مضامين هذا الكتاب لطلابهم ومستمعهم والمجتمع ككل في سبيل تحقيق التقدم والتطور الشامل للجميع).

(٣) ولاية أدماوا.

(تجربة الحياة تؤكد بأن التاريخ يعيد نفسه في وجه من الوجوه. فمؤلفو هذا الكتاب قد قاموا بجهود مشكورة في تزويد القراء بالمعلومات الصحيحة والتي ستقابل حوارات ومناقشات المتطرفين جديرة بأن يحتذى بها. كما أنها ستكون بمثابة إجراءات وقائية للحماية من الحوادث المستقبلية، وأيضاً كمصدر يعتمد عليه).

(٤) ولاية كيبّي.

(جاء هذا الكتاب في الوقت المناسب، وقد لا يأتي في وقت أنسب من هذا حيث يواجه المسلمون في جميع أنحاء العالم بالحرب الأيديولوجية مثل الذي كان موجوداً في زمن الخوارج. فدماء المسلمين وممتلكاتهم وكرامتهم صارت حلالاً من قبل غيرهم على أساس اختلاف الآراء والمفاهيم لقواعد الإسلام. أسأل الله تعالى أن يوفقكم ويعينكم ويحفظكم للدعوة على هذا المنهج الكريم القائم على ردّ شبه ودحض ومقاومة هذه الأفكار الشنيعة بالحجج والبراهين الساطعة من القرآن الكريم والسنة النبوية على فهم سلف الأمة).

(٥) ولاية سو كوتو.

(عملٌ بهذا القدر جدير بأن يجيزه الجميع. وعليه، فنشكر الناشرين والمؤلفين وجميع من ساهم بطريقة أو بأخرى. فأنا كمسلم الذي ما زال يعاني من أنشطة وعمليات هذه الفرق «المتطرفة»، لا يسعني إلا أن أجزى هذا العمل).

(٦) العاصمة أبوجا.

(تشرفت بقراءة هذا الكتاب «الجهاد ضد الغلو» والذي وجدته من الأهمية

بمكان، فهو مثقف ومناسب، وأعترف بأن كل جزء من هذا الكتاب مهم لكل مسلم وخاصة العلماء والدعاة منهم).

(٧) ولاية زمفرا.

(فبعد قراءة الكتاب قراءة شاملة وبعناية، فإني قد وجدته مناسباً جداً ومتواكب مع الزمن. بالتأكيد، وجود مادة علمية كهذه وبهذا القدر يساعد على القضاء على الأفهام السيئة والتطرف بين أوساط المسلمين المعاصرين).

(٨) ولاية كدونا.

(كتاب «الجهاد في مواجهة الغلو» فريد في نوعه، والأمة بأجمعها بحاجة إلى مثل هذه الكتابات لكي نحمي شبابنا من الوقوع في هذه الأفكار المضللة. أسأل الله تعالى للمؤلفين الهداية والرشاد وزيادة في العلم).

(٩) ولاية كانو.

(أنا أوصي بطباعة هذه المخطوطة ليستفيد بها العلماء العاملون في الحقل الدعوي على جميع الأصعدة، وليوضح الأفكار الخاطئة حول الجهاد في جميع المراحل. والكتيب مكتوب بشكل جيد، وبحوثه - مع كونها مختصرة - إلا أنها غطت معظم الأفكار الخاطئة التي أثارها الجماعات المتطرفة. فبالتأكيد، يكون هذا الكتاب مرجعاً مفيداً لأولئك الذين يبحثون عن المعلومات الموجزة حول آراء وأفكار المتطرفين).

(١٠) ولاية كوارا.

(مناقشات المؤلفين والمراجع التي عزوها إلى المصادر الأصلية في الشريعة الإسلامية هي منطقية وموجهة، وبالفعل، فقد أوضح الكتاب موقف الإسلام ضد

التطرف والعنف. وعليه، فهو كتاب يحق على كل مسلم قراءته بل وغير المسلم الذي يرغب في التعرف على علاقة الإسلام بالعنف، وكذلك على أولئك الذين يهتمون بالقضايا الاجتماعية والدينية، والقضايا السياسية التي تحيط بنيجيريا كدولة).

(١١) ولاية كوفي.

إنه ليسرني أن أجز هذا الكتاب للطباعة لاعتقادي الجازم بأنه سيوضح الكثير من الإشكالات المتعلقة بمفهوم الجهاد، ومتى يجب القيام به، وكيف يقام. أيضًا، فإنه سيوضح بعض المفاهيم الخاطئة التي يعتقدونها بعض الناس عن الإسلام بأنه دين إرهاب وعنف، فأنا أجز هذا الكتاب مئة في المئة).

(١٢) ولاية بوتشي.

(تناول الكتاب القضايا المعاصرة التي تروج بين أوساط بعض الشباب في نيجيريا، حاول الكتاب إيضاح المناطق الغامضة في تفسير معاني بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على طريق فهم سلف الأمة. فأنا أجز هذا الكتاب على ما تضمنه من المعلومات القادرة على تضعيف وإزالة أفكار الجماعات المتطرفة من نفوس الفئات الضعيفة من الشباب).

(١٣) ولاية نصرأوى.

(فنيابة عن هذه المؤسسة، يسرني أن أصرح بأن هذا الكتاب جدير بالثناء. علاوة على ذلك، فنحن ننصح بترجمته إلى اللغات النيجيرية الرئيسية، مثل: هوسا، إغبو، يوروبو، وفلاته).

(١٤) ولاية جيغاوا.

(الكتاب إن شاء الله سيقطع شوطا طويلا في منع التطرف. لذلك، أنا أؤيده تماما).

(١٥) ولاية بلاتو.

(أوصي بشدة بهذا الكتاب لجميع طلاب وخطباء الإسلام).

(١٦) ولاية ترابا.

(وبعد قراءتي لهذا الكتاب، فإني قد وجدت محتواه غنيًا بالمعلومات، ومناسبًا للوقت، وكذلك فهو يمثل آراء الأمة الإسلامية داخل وخارج البلد. وعليه؛ فأنا أجزى نشره وتداوله داخل وخارج البلد).

(١٧) ولاية يوبي.

(نشني على المؤلفين لعملهم الجيد. هذا الكتاب الذي جاء في الوقت المناسب غني بالمعلومات ويوفر معلومات كافية عن الجماعات المتطرفة. إنه متعمق للغاية في محاولته لمواجهة مخاطر التطرف).

(١٨) ولاية بنيو.

(ما شاء الله على هذا العمل الرائع. ينصح بشدة).

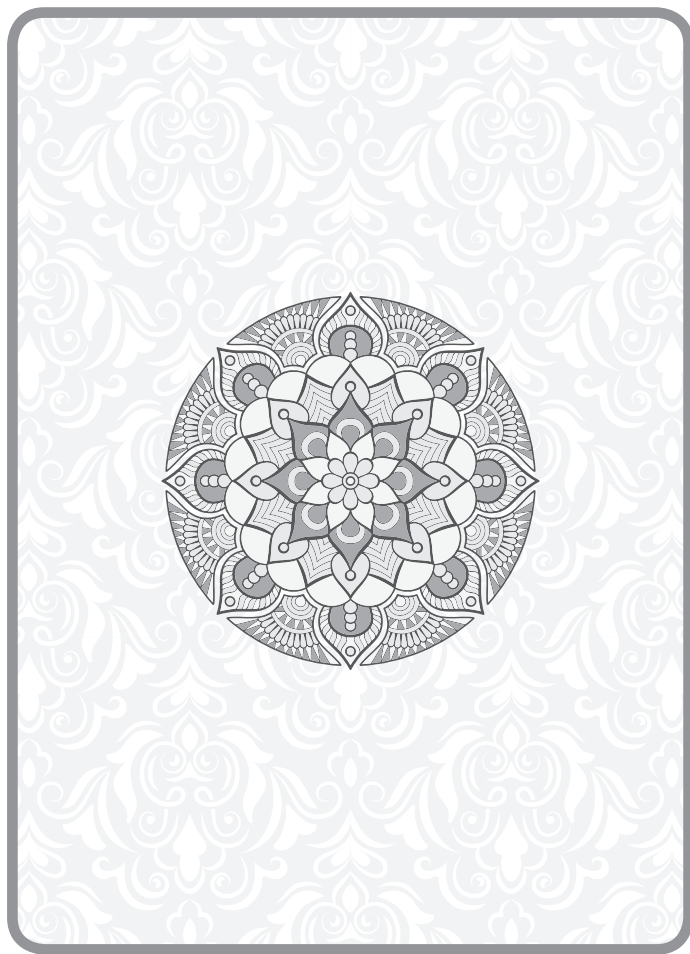
(١٩) ولاية بورنو.

(هذا عمل رائع بالنسبة لنا هنا في بورنو، إنه تطور مرحب به. جزاكم الله خيرًا على هذه الإضافة المهمة جدًا لمواجهة التطرف العنيف).

(٢٠) ولاية كسينا.

(هذا جيد، أنا أؤيده بالكامل، جزاكم الله خيرًا).





المقدمة

الغلو والتطرّف العنفي باسم الدّين ظاهرة عالمية حظيت باهتمام الجميع في القرن الحادي والعشرين، فهي ظاهرة تأثر على جميع جوانب حياتنا الدينية، والسياسية، والاجتماعية والاقتصادية. على الرغم من أنه يقع باسم الدّين، فالتطرّف العنفي ينبثق لأسباب عديدة. فعندما ينحلّ الفساد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني بمجتمع ما، فإنه بالطبع ستحدث ردود أفعال لمقاومة ذلك الفساد، وعندئذ سيزداد الخطر مما قد يؤدي إلى استخدام التطرّف العنفي في محاولة تغيير تلك الحالة السيئة.

قد ألفت العديد من الكتابات التي تؤكد كيف أنّ الاستبعاد والعدوان يؤديان إلى الغلو والعنف. فعلى سبيل المثال، من وجهة نظر الشيخ محفوظ ولد الوالد المعروف بـ«أبو حفص الموريتاني» قد كتب مقالة حول العلاقة بين «الغزاة، والطغاة، والجفأة، والغلاة».^(١) في هذه المقالة قد أوضح «مربع المعاناة» والذي أدّى إلى استبعاد كثير من المسلمين من أوطانهم منذ أن بدأ العهد الاستعماري الأوروبي. وهذا المربع يشمل على المراحل المتسلسلة من غزو، واحتلال، وتدمير التراث الديني والحضاري، وتسليط الحكام المستبدين والذين تكون تبعيتهم

(١) محفوظ ولد الوالد، فصل المقال فيما بين الأربعة من اتصال (الغزاة، الطغاة، الغلاة، الجفأة).

للغرب، وذلك بعد مغادرة القوات الاستعمارية، ورفض هؤلاء الحكام من قبل العلماء، ودعوة الناس إلى العودة إلى دينهم الخالص عن طريق التواصي بالقيم الدينية، ونبذ الخطوات الشيطانية، والقيام بالإصلاح السلمي.

وللأسف، فخلال هذه المرحلة الأخيرة وفي السنوات المتأخرة، قد جدد أولئك الحكام المستبدون قمعهم وإذلالهم للناس، ونهبهم لثرواتهم، ومصادرتهم لممتلكاتهم وحقوقهم وحريتهم، ونشرهم للفساد والظلم. ففي هذا الخضم، اختار بعض الجماعات وبعض الشباب المحبطين اتباع طريقة المقاومة العنيفة والجهاد المسلح، فوقعوا ضحية في شرك الغلو والتكفير. وكلاً من هذه الظواهر تعدّ جزءاً من الحلقة المفرغة للتطرف، والمؤدية إلى مزيد من العنف. فكما ذكره الشيخ محفوظ ولد الوالد، بأن الحالة السيئة التي نعيشها الآن، وما سيفاجئنا به المستقبل يستدعي قيام جميع الأطراف الفاعلة في العالم بغض النظر عن عقائدهم، وعرقهم، وجنسياتهم، وثقافتهم ليتفكروا بجدية في كيفية تخليص العالم من شر هذه الحلقة المفرغة. فإن عدم القيام بمعالجة الأسباب الجذرية لهذه المشكلة إنما تزيد في إطالة المعاناة فحسب.

أيضاً، وحتى في النطاق الدولي، فثمة اعتبار الاستبعاد والجلاء من الدوافع القوية المؤدية إلى التطرف والتطرف العنفي. فإن الأمم المتحدة في تقريرها لتوجيه العمل في مجال تقييم الدوافع المؤدية إلى التطرف، وتقديم التوصيات عن الجهود الجماعية التي ينبغي القيام بها لمقاومة تلك الدوافع ذكرت بأن «الفقر يؤدي إلى اليأس والشعور بالظلم، والنفرة، والتي إذا اجتمعت مع المظالم السياسية فإنها تؤدي إلى التطرف»^(١) كذلك فقد تناول التقرير السرد التاريخي والعلاقات الراهنة

(١) تقرير الفريق الرفيع المستوى. تحالف الحضارات التابع للأمم المتحدة، ١٣ نوفمبر ٢٠٠٦.

https://www.unaoc.org/docs/AoC_HLG_REPORT_EN.pdf

بين المجتمعات الغربية والإسلامية، مثل الأمور المتعلقة بالاستعمار، وتجزئة فلسطين في عام (١٩٤٧)، والتدخل العسكري في أفغانستان (١٩٧٩) وفي العراق (٢٠٠٣)، والإحساس بازدواجية المعايير للغرب، وكذلك «التمييز والإذلال أو التهميش على أساس العرق أو الدين أو عوامل أخرى».

وتقرير السكرتير العام للأمم المتحدة حول الخطة العملية العالمية لمكافحة التطرف العنيف ذكرت قائمة من الأحوال المفضية للغلو المفرط لتشمل: عدم وجود الفرص الاجتماعية الاقتصادية، التهميش، التفریق، ضعف الحوكمة، انتهاك حقوق الإنسان والسلطة القانونية، الصراعات التي بقيت لفترات طويلة بدون حل^(١).

وكثير من الجماعات المنتمية إلى الدين يعتقدون بأن الدين هو الكفيل الوحيد لإصلاح المجتمع الفاسد، سواء هذا الفساد متعلق بالدين أو بغيره. والمتطرفون - في محاولتهم إصلاح المجتمع - قد يلجؤون إلى استخدام الأسلوب العنيف، وهذا بدوره يؤدي إلى أضرار متضاعفة على البشرية وعلى الدين نفسه، وهذا بناء على اعتقادهم الخاطئ بأن الشر إنما يدفع بالتدابير الصارمة فقط.

وفي محاولة تحقيق هذا الهدف، فإن المتطرفين يعتمدون على بعض المراجع الإسلامية ويستشهدون ببعض النصوص الشرعية والأقوال الفقهية لتأييد مواقفهم وأعمالهم العنيفة. وعلى هذا النمط، تحركت عجلات الحركات التطرفية في الماضي والحاضر عبر التاريخ. ومن جهة أخرى، فقد قام علماء المسلمين الذين

(١) الأمم المتحدة. خطة عمل لمنع التطرف العنيف. تقرير الأمين العام إلى الدورة السبعين للجمعية العامة. وثيقة الأمم المتحدة A/ 70/674. نيويورك. ٢٤ ديسمبر ٢٠١٥.

https://www.un.org/en/ga/search/view_doc.asp?symbol=A/70/674

هم على الجادة وحاولوا دحض تلك الآراء التطرفية على أساس أنها مبنية على تفسيرات خاطئة واستشهادات خارج محل النزاع. وبالفعل؛ فأفضل الطرق لدحض شبهات هؤلاء المتطرفين هو إيجاد حوارات مقابلة ومقنعة التي ترد على الأسئلة التي يثيرونها، وتوضح التصورات الخاطئة حولها مع الاعتراف بشكواهم المشروعة والمنطقية. وعلى أساس هذه الخلفية، تم وضع هذا الكتاب.

خلال العقد الأخير، لم تزل الجماعات المتطرفة يشنون الحرب في شمال نيجيريا وفي بحيرة تشاد، الأمر الذي تفاقم مع مرور الوقت وصار يلفت انتباه المجتمع الدولي عن طريق الاختطافات، والتفجيرات، والأعمال العدوانية المسلحة. وقد قامت الحكومة النيجيرية بالتحالف مع الدول المجاورة، مثل: النيجير، والكاميرون، والتشاد، والبنين بتقديم العميات الأمنية ضد تلك الجماعات. مع أنه يمكن القول بأن الاستجابات الأمنية الصارمة إنما زادت الطين بلة في هذه المناطق، وذلك لأن هذه الجماعات يظهرن قدرًا كبيرًا من الصمود على المقاومة. وحتى لو قُدر أنّ العمليات الأمنية قد نجحت أخيرًا في قمعهم عسكريًا، إلا أنه من المؤكد أن التدابير العسكرية وحدها لا يمكنها منع أو معالجة الأفكار التطرفية.

ومنهج هؤلاء الجماعات قائم على التفسيرات الخاطئة والاستشهادات السيئة لنصوص وتعاليم وعقائد الإسلام. كما أنهم يقومون باستغلال الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية لمجنديهم، واستعمال السياسة التعاطفية والتضحية في ترويج النظرة الثنائية للعالم والذي يعتبر «الآخرين» أعداءً لا يستحقون شيئًا سوى الإعدام/ الموت. ووجهات نظر هؤلاء الجماعات تدور حول خمسة محاور رئيسية وهي:

(١) التكفير.

(٢) تحريم التعليم الغربي (المعاصر).

(٣) تحريم الوظائف المدنية تحت الحكومة العلمانية.

(٤) الديمقراطية كفر.

(٥) جهاد الكفار واجب ديني.

والأيديولوجيون من هذه الجماعات يستشهدون بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآراء الفقهاء لتبرير حواراتهم واستنتاجاتهم حول الأمور المذكورة أعلاه. كما أن هذه الجماعات يسيئون الاقتباس من أقوال فقهاء المسلمين، فكذا هم يستدلون بمراجع خارجة عن السياق، ويفسرون الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بطريقة غير مسبقة والتي تتنافى وفهم السلف الصالح. وهذا كله مما جعلهم دائماً في صراعٍ مع عامة المسلمين والمسيحيين وبعض الحكومات الإقليمية.

ويستعمل السلاح بعض هذه الجماعات ضد الحكومة النيجيرية بحجة أن أعضاءهم حرّموا حق ممارسة عقائدهم وبأنهم اضطهدوا وذبحوا من قبل القوات الأمنية. والفئات المسلّحة من هؤلاء بدأوا في مهاجمة بعض المسلمين والمسيحيين في المدارس والأسواق والمساجد والكنائس ونحو ذلك من خلال الاغتيالات، والهجمات الانتحارية وسائر الإستراتيجيات القائمة على حرب العصابات. وبالتالي، فهذا العنف/التشدد انتشر في البلاد المجاورة من أمثال: الكاميرون، والتشاد، والنيجير، وهذا الصراع الذي امتدّ فوق عشر سنين إلى الآن، قد أدى إلى وفاة عشرات الآلاف من الناس بعض منهم أعضاء هذه الجماعات، وبعضهم الآخر من القوات الأمنية، وكذلك من المواطنين الأبرياء بما فيهم النساء

والولدان. وأيضًا، قد سبب هذا الصراع تدمير الممتلكات التي تساوي مبلغًا كبيرًا من المال، وكذلك تشريد الملايين من الناس.

فعلماء المسلمين إذاً بحاجة إلى أن يستعملوا الحوار المقنع المعتمد على المصادر الصحيحة؛ ليثبتوا لتلك الجماعات مدى تشويههم لمصادرهم الدينية. وبهذه الطريقة؛ فيمكن أيضًا للشباب - الذين هم عرضة للتجنيد من قبل هذه الجماعات التطرفية - استخدام هذه الحوارات/ الحجج ليكونوا على مناعة تامة.

حاول هذا الكتاب إبراز أهمّ معتقدات وآراء ومراجع الجماعات المتطرفة بهدف مناقشتها مناقشةً نقديةً. وسيتم مناقشة تلك القضايا التي أثاروها من وجهات نظر السلف وفقهاء المسلمين، وسوف نتناول المحاور الخمسة المذكورة أعلاه كلاً على حدة، فنقوم بتحليلها، وتفنيد حججهم، واستنتاجاتهم ومراجعهم فيما يتعلق بكل محور، وبالتالي، نسرّد آراء، وحجج، ومراجع، واستنتاجات موثوقة للسلف وفقهاء المسلمين فيما يتعلق بكل محور.

أهداف الكتاب ونطاقه:

فكما سبق ذكره، يستهدف هذا الكتاب إيجاد وجهات نظر معاكسة للمتطرفين في كيفية معالجتهم للنصوص الشرعية وتعاليمها وعقائدها، فسيقوم الكتاب بتحليل ونقد حجج ومراجع واستنتاجات هذه الجماعات المتطرفة وذلك من أجل توضيح كيفية استشهاد هؤلاء بالنصوص في غير سياقها، وكيف يسيئون تفسير النصوص الشرعية وكيف يخطئون كذلك في اقتباس أقوال العلماء وفقهاء الإسلام. والقصد من هذا كله هو تقديم وجهة نظر بديلة لما يفهمه هؤلاء الجماعات عن الإسلام. لذا فهذا الكتاب لا يتطرق للحديث عن العوامل الاجتماعية والاقتصادية أو السياسية

أو التاريخية التي أدت إلى ظهور التطرف، على الرغم من أن المؤلفين يعترفون بمشروعية ومنطقية بعض التظلمات التي أدت بهؤلاء الجماعات ليتبنوا المواقف المتطرفة. وذلك لا لأن هذه العوامل الأخرى غير مهمة ولكن فقط لتجنب الإطالة المملة وغير المفيدة.

ومن المأمول أن يتلقى هذا الكتاب القبول من قراء مختلفين، مع ذلك، فحتى يكون الكتاب متقناً ومناسباً لقراءه الأمثل - ونعني بهم الشباب الذين قد يتم تجنيدهم من قبل هذه الجماعات، وكذلك أعضاء هذه الجماعات أنفسهم - فقد ذكرنا فقط العلماء والمصادر التي يثقون بها. والمعنى، بما أن أغلب هؤلاء يتبعون المنهج السلفي الفكري؛ فإنه سيتم الإحالة فقط إلى العلماء والمصادر التي ذكرها السلف. وهذا يعني أن علماء الصوفية والشيعة وبقية الفرق الإسلامية لا يستشهد بهم لأنهم غير موثوقين في وجهة نظر هذه الجماعات. وهذا كله من أجل تعزيز التفاهم المتبادل حسب المراجع المشتركة.

تم وضع هذا الكتاب انطلاقاً من روح مدّ يد التواصل إلى زعماء وأعضاء الجماعات المتطرفة، وإلى أولئك الذين قد يغتروا بهم فينحوا منحهم. يستهدف الكتاب إقناع كل هؤلاء - على كونهم إخوة وأخوات في أوساط المجتمع المسلم - بأن التطرف العنفي غير صحيح في منظور التعاليم الإسلامية الصحيحة، وهو مع ذلك غير مجد لتعديته إلى نتائج عكسية للإسلام نفسه. كما يأمل أيضاً أن يكون نافعا في إحداث الحوار الهادئ والنقاش البناء مع أعضاء هذه المجموعات من أجل الوصول إلى حلول سلمية لكثير من القضايا الشائكة التي تواجه شمال نيجيريا ومنطقته بحيرة تشاد.

الفصل الأول

عقائد وشبهات المتطرفين ومناقشتها

التكفير (تكفير أهل القبلة)

لا شك أن كل من يتابع منهج المتطرفين عرف أن من عقائدهم تكفير كل من خالفهم في المنهج، ولم يخرجوا عن جماعة المسلمين إلا بعد تأصيل هذا الأصل والجزم به، ويعتبرون كل من خالفهم على أنه عدو لهم يستحق بذلك حكم الردة عن دين الله عليه، وتنفيذ حكم الردة على المسلمين هو الذي ينون عليه أحكامهم في المسائل الخمسة المذكورة في هذا البحث، حيث خالفوا فيها جمهور المسلمين، فلم يرفضوا العمل تحت الحكومات إلا بعد تكفيرهم للمسلمين، على أن المسلمين رضوا بالحكومة التي يعتبرها المتطرفون طاغوتًا، كما يكفرون المسلمين لقبولهم التعليم الغربي، ويكفرون المسلمين أيضًا؛ لأنهم رضوا بالعمل تحت الحكومة التي أسست على النظام الديمقراطي، هذا الحكم هو ما أفضى إلى استحلال دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، فاستحلالهم لدماء المسلمين هو السبب في تفجيراتهم وقتلهم، واستحلالهم لأموال المسلمين هو السبب في نهبهم أموال المسلمين والمال العام على أنه غنيمة، واستحلالهم أعراض المسلمين هو السبب في اغتصابهم نساء المسلمين وأولادهم على أنهم سبايا الحروب.

هذا الحكم الجائر المؤدي إلى استحلال محارم الله حكم يخالف حديثًا صريحًا من أحاديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم»،^(١) ويقول الله عز وجل في القرآن ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾

(١) صحيح البخاري، (١٠٥).

[آل عمران: ١٩]، هذه الآية ونظائرها تقرر وتثبت أن الإسلام دين الله، ولا يمكن لأحد أن يُخرج أحداً منه إلا بحجة مقبولة عند الله، ولذا وقف علماء المسلمين موقفاً واحداً وحاسماً في وضع الشروط والضوابط التي لا بد من توافرها وانتفاء موانعها قبل ثبوت حكم الردة على الشخص المسلم.

وسيكون الحديث في هذا الباب تحت خمس مسائل:

المسألة الأولى: موقف المتطرفين من تكفير المسلمين.

المسألة الثانية: بيان عقيدة أهل السنة والجماعة وموقفهم من تكفير المسلمين وخطورته.

المسألة الثالثة: شروط تكفير المعين.

المسألة الرابعة: موانع تكفير المعين.

المسألة الخامسة: من لهم الحق في تكفير المعين.

وفيما يلي تفصيل لهذه المسائل:

المسألة الأولى: موقف المتطرفين من تكفير المسلمين

إن تكفير عامة المسلمين وتطبيق حكم الردة عليهم من دأب جماعة التطرف، وليس ذلك بخاف على من له أدنى معرفة بهم، وهذا نص من كلام أحد زعماء التطرف في إحدى مقاطع الفيديو له التي نشرت عام ٢٠١٥م:

(أتظنون أنكم مسلمون، أثبتتم القوانين الوضعية في بلدانكم وحكمتكم بها، وتركتكم أحكام القرآن، وتحكمون بأحكام أوباما وبانكيمن، وتظنون بذلك أنكم

مسلمون، أنتم كفار ولو صليتم وصتمتم وأخرجتم الزكاة وحججتم...^(١).
وكذا قال أحد زعمائهم في مقطع مرئي نشر في شهر نوفمبر عام ٢٠١٤م،
وهذا نص كلامه:

(الناس قسمان، مسلمون وكفار، فإما أن تكون مسلمًا أو تكون كافرًا، وهؤلاء
الذين قتلناهم، قتلناهم لأنهم اختاروا البقاء في الكفر، والله تعالى هو الذي أذن لنا
بقتلهم، ولذلك قتلناهم). ولا شك أن هذا فهم خطير على حياة المتطرفين أنفسهم
وسائر المسلمين؛ للأدلة الواردة من الكتاب والسنة وأقوال كبار علماء الإسلام.

المسألة الثانية: بيان عقيدة أهل السنة والجماعة وموقفهم من تكفير المسلمين وخطورته

تبين الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء على أنه لا يمكن إطلاق القول
بكفر أحد من المسلمين إلا بتوافر الشروط، وانتفاء الموانع، ودقة النظر، وهو أمر
خطير للغاية؛ لترتب أحكام كثيرة عليه، منها استحلال دمه وماله، وأنه إذا مات
على ذلك فهو كافر مخلد في النار، والأصل أن ذلك حق الله ورسله عليهم الصلاة
والسلام، وثبت عن النبي ﷺ من حديث أبي ذر، أنه قال: «لا يرمي رجل رجلًا
بالفُسوق ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدَّت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك». ^(٢) يقول ابن

(١) أسموا هذا الفيديو «رسالة إلى زعماء إفريقيا»، نشرته جماعة (بو كوحرام) عام ٢٠١٥م،
وأكثره باللغة العربية، وبعضه بالهوسا والإنجليزية وكانوري. ولمشاهدة الفيديو يمكن الضغط
على الرابط التالي:

<https://mail.google.com/mail/u#/0/inbox152/cc334a8445d7f?projector>

(٢) صحيح البخاري، (٦٠٤٥)، ومسلم (٦١).

دقيق العيد: (هذا وعيد عظيم لمن كفر أحداً من المسلمين وليس كذلك).^(١)

وسنين في هذه المسألة الأدلة المقنعة، وكلام المحققين من علماء أهل السنة الذين بينوا ووضعوا الموقف الحقيقي لأهل السنة حول هذه المسألة، وخطر التسرع في تكفير رجل معين: وهو ما اشتهرت به دعوة زعماء التطرف، وهذا ما يثبت خطأ منهجهم؛ لأن العلماء ذكروا أن صدور العمل الموجب للكفر لا يكفي وحده في الحكم بالكفر على الشخص إلا إذا توفرت الشروط، وانتفت الموانع الموجبة لذلك، ومنهج الإسلام هو إقامة الحجة والعدول أولاً قبل الحكم على القول أو العمل أو النية أو الهدف؛ لأن العبرة في التصرفات بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني.

وهذا نزر يسير من كلام العلماء حول هذه المسألة:

١. الإمام ابن أبي العز الحنفي: يقول في كتابه المشهور «شرح العقيدة الطحاوية»: (وَلَاِنَّ الشَّخْصَ الْمُعَيَّنَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا مُخْطِئًا مَغْفُورًا لَهُ، أَوْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مَمَّنْ لَمْ يَبْلُغْهُ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النُّصُوصِ، وَيُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ إِيمَانٌ عَظِيمٌ وَحَسَنَاتٌ أَوْجَبَتْ لَهُ رَحْمَةَ اللَّهِ... ثُمَّ إِذَا كَانَ الْقَوْلُ فِي نَفْسِهِ كُفْرًا قِيلَ: إِنَّهُ كُفْرٌ، وَالْقَائِلُ لَهُ يَكْفُرُ بِشُرُوطٍ وَانْتِفَاءِ مَوَانِعٍ).^(٢)

٢. شيخ الإسلام ابن تيمية: يقول رحمه الله تعالى: (إِنَّ التَّكْفِيرَ لَهُ شُرُوطٌ وَمَوَانِعٌ قَدْ تَنْتَفَى فِي حَقِّ الْمُعَيَّنِ، وَإِنَّ تَكْفِيرَ الْمُطْلَقِ لَا يَسْتَلْزِمُ تَكْفِيرَ الْمُعَيَّنِ إِلَّا إِذَا وُجِدَتْ الشُّرُوطُ وَانْتَفَتْ المَوَانِعُ).^(٣)

(١) ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، (بيروت: دار عالم الكتب، ١٩٨٧)، ٧٦/٢.

(٢) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ)،

ص ٤٣٧.

(٣) مجموع الفتاوى، (المدينة المنورة، مجمع الملك فهد، ٢٠٠٤)، ٤٨٧/١٢.

٣. الشيخ محمد بن صالح عثيمين: يقول رحمه الله تعالى: «الأصل فيمن ينتسب للإسلام بقاء إسلامه، حتى يتحقق زوال ذلك عنه، بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره؛ لأن في ذلك محذورين: أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم، وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبّه به، أما الأول: فواضح حيث حَكَمَ بالكفر على مَنْ لم يكفره الله تعالى فهو كَمَن حَرَّمَ ما أحل الله؛ لأن الحكم بالتكفير أو عدمه إلى الله وحده؛ كالحكم بالتحريم أو عدمه، وأما الثاني: فلأنه وصف المسلم بوصف مضادّ، فقال: إنه كافر، مع أنه بريء من ذلك، وحرّيُّ به أن يعود وصف الكفر عليه، وهو محذور عظيم يوشك أن يقع به؛ لأن الغالب أن مَنْ تَسَرَّعَ بوصف المسلم بالكفر كان معجباً بعمله، محتقراً لغيره، فيكون جامعاً بين الإعجاب بعمله، الذي قد يؤدي إلى حُبوطه، وبين الكبر الموجب لعذاب الله تعالى في النار». (١)

قال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وأخوه الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان رحمهم الله تعالى: (ومسألة تكفير المُعَيَّن مسألة معروفة، إذا قال قولاً يكون القول به كفرًا، فيقال: مَنْ قال بهذا القول فهو كافر، ولكن الشخص المُعَيَّن إذا قال ذلك لا يُحَكَمُ بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها). (٢)

٤ - قال الشيخ سليمان بن ناصر العلوان:

(إذا عَلِمَ ما تَقَدَّمَ مِنَ النواقض التي تُحِبِّطُ الأعمال، وتجعل صاحبها من

(١) ينظر: مجموع فتاواه، (جمع فهد السلیمان ٢ / ١٣٣، ١٣٤).

(٢) الدرر السنّية، ١٠ / ٤٣٢.

الخالدين في النار، فَلْيُعْلَمَ أَنَّ الْمُسْلِمَ قَدْ يَقُولُ قَوْلًا، أَوْ يَفْعَلُ فِعْلًا قَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ سَلَفِ الْأُمَّةِ عَلَى أَنَّهُ كُفْرٌ وَرِدَّةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ؛ وَلَكِنْ لَا تَلَازِمُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بَيْنَ الْقَوْلِ بِأَنَّ هَذَا كُفْرٌ، وَبَيْنَ تَكْفِيرِ الرَّجُلِ بَعِينِهِ. فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ فَعَلَ مُكْفِرًا حُكْمَ بِكُفْرِهِ؛ إِذِ الْقَوْلُ أَوْ الْفِعْلُ قَدْ يَكُونُ كُفْرًا؛ لَكِنْ لَا يُطْلَقُ الْكُفْرُ عَلَى الْقَائِلِ أَوْ الْفَاعِلِ إِلَّا بِشَرْطِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ تَثْبِتَ فِي حَقِّهِ شُرُوطَ التَّكْفِيرِ، وَتَتَنَفَّى مَوَانِعُهُ؛ فَالْمَرْءُ قَدْ يَكُونُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِإِسْلَامٍ، وَقَدْ يَفْعَلُ مُكْفِرًا، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ مُكْفِرٌ، فِإِذَا بَيَّنَّ لَهُ رَجَعَ، وَقَدْ يَنْكُرُ شَيْئًا مَتَأَوَّلًا أَخْطَأَ بِتَأْوِيلِهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَانِعِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنَ التَّكْفِيرِ. وَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ يَجِبُ تَفْهَمُهُ وَالِاعْتِنَاءُ بِهِ؛ لِأَنَّ التَّكْفِيرَ لَيْسَ حَقًّا لِلْمَخْلُوقِ، يُكْفَرُ مَنْ يَشَاءُ عَلَى وَفْقِ هَوَاهُ؛ بَلْ يَجِبُ الرَّجُوعُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى فَهْمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، فَمَنْ كَفَّرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ لَا، فَلَا).^(١)

٥ - قال علامة اليمن محمد بن علي الشوكاني: (اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام، ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهانٍ أَوْضَحَ من شمس النهار).^(٢)

المسألة الثالثة: شروط تكفير المعين

عقيدة أهل السنة والجماعة أنه لا يحكم على الشخص المعين بالكفر حتى تجتمع فيه جميع شروط التكفير وتتنفي عنه جميع الموانع، وهذه الشروط كما يلي:

(١) سليمان بن ناصر العلوان، التبيان شرح نواقض الإسلام، (الرياض: دار البوارق، ١٩٩٩)، ص ٧٥.

(٢) محمد بن علي الشوكاني، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، (بيروت: دار ابن حزم،

أولاً: العلم بالمكفر.

فمن فعل مكفرًا جهلاً فإنه لا يحكم عليه بالكفر حتى ينتفي في حقه هذا المانع والموانع الأخرى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ويدل على هذا حديث أبي هريرة، وأبي سعيد رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قَالَ: «أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَيَّ نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَىٰ بِنِيهِ، فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِن قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي، لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، قَالَ: فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ لِلأَرْضِ: أَذِّ مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ. فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشِيتُكَ يَا رَبُّ! أَوْ قَالَ: مَخَافَتُكَ! فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ». (١)

قال شيخ الإسلام بعد ذكره لهذا الحديث: (فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُرِي، بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، ولكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك). (٢)

ذهب علماء أهل السنة إلى أنه لا يثبت حكم الردة على شخص، إلا الشخص الذي فعل ذلك وهو عالم وبعد إقامة الحجة عليه، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: (فَإِنْ خَالَفَ ذَلِكَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ فَهُوَ كَافِرٌ أَمَّا قَبْلَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ فَمَعْدُورٌ بِالْجَهْلِ). (٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن تكفير المعين وجواز قتله موقوف

(١) البخاري (٣٤٨٧)، ومسلم (٢٧٥٦).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣/ ٢٣١.

(٣) ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية، (جدة: مجمع الفقه الإسلامي، ١٤٣١هـ)، ص ١٦٥.

على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس من جهل شيئاً من الدين يكفر).^(١) ومثال ذلك في أعمالنا اليومية هو أن يعيب المسلم حكماً شرعياً لجهله بثبوتة في الشرع، أو عدم معرفته بقبح فعله، أو غير ذلك.

ثانياً: العمد.

وذلك بأن يتقصد فعل المكفر من بداية الأمر، من غير خطأ أو نسيان؛ لأن النسيان والخطأ من الأعذار الشرعية، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وقال تعالى عن دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وجاء في الحديث الصحيح أن الله استجاب دعوة عباده المؤمنين في هذا، فصار حجة لنا أنه لا بد من أن نثبت تعمد الشخص قبل إثبات حكم الردة عليه.

وثبت في الحديث أن الرسول الله ﷺ، قال: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»،^(٢) وهذا ظاهر في العفو عنه لأنه لم يتعمد ذلك.

ثالثاً: عدم الإكراه.

هذا الشرط يعني أن من أكره على قول أو فعل كفري من غير اختيار منه لا يحل تطبيق حكم الكفر عليه، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ

(١) ابن تيمية، الاستغاثة في الرد على البكري، (الرياض: دار المنهاج، ١٤٢٦هـ)، ١ / ٣٨١.

(٢) البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٧).

إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ
مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦].

ومن الأدلة التي تدعم هذين الشرطين الأخيرين حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ». (١)

المسألة الرابعة: موانع تكفير المعين

قد وضع العلماء بعض الأمور التي تعتبر من موانع التكفير، تحجب وتمنع الشخص من ثبوت حكم الردة عليه، وهي كالاتي:

١. الجهل: كما بينا في شرط العلم، فالجهل الذي هو ضد العلم يكون مانعاً لثبوت حكم الردة على صاحبه، ويكون مانعاً إذا كان من الجهل الذي لا يتمكن المكلف من دفعه أو إزالته، مثل شخص في مكان منقطع، وليس لديه أي وسيلة للعلم وللتعلم، والعلماء متفقون على عدم عذر المعرض إن تمكن من العلم، والمراد هنا هو عذر من لم يتمكن من العلم.

وأكبر دليل على هذا المانع: حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق في قصة الرجل الذي لم يعمل خيراً قط، فأمر أولاده إذا مات أن يحرقوه ثم يذروا رماده في شديد الريح في البحر، وقال: «والله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذب به أحد... فغفر له». (٢)

ذكر شيخ الإسلام أن هذا الشخص فعل كفراً لكن لم يكن كافراً، فقال: (فهذا رجل

(١) سنن ابن ماجة (٢٠٤٣).

(٢) متفق عليه.

شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُري، بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، ولكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك،^(١) وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (لَكِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ جَاهِلًا بِبَعْضِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ جَهْلًا يُعَذَّرُ بِهِ، فَلَا يُحْكَمُ بِكُفْرٍ أَحَدٍ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ مِنْ جِهَةِ بَلَاغِ الرَّسَالَةِ).^(٢) وهكذا ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب، فقال: (وأما ما ذكره الأعداء عني على أنني أكفر بالظن وبالموالاتة، أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم).^(٣)

٢. الإكراه: كما سبق في آية النحل السابقة الذكر، تدل على أن الإكراه من موانع تكفير المكره، إذا أكره على قول أو فعل كفري من غير اختيار منه.

٣. التأويل: وهو أن يرتكب المسلم أمراً كفيراً، معتقداً مشروعيته، أو إباحته له؛ لدليل يرى صحته، أو لأمر يراه عذراً له في ذلك، وهو مخطئ في ذلك كله، فإذا اعتقد المسلم، أو فعل، أو قال أمراً مخرجاً من الملة، وكان عنده شبهة تأويل في ذلك، وهو ممن يمكن وجود هذه الشبهة لديه، وكانت في مسألة يحتمل التأويل فيها، فإنه يُعذر بذلك، ولو كانت هذه الشبهة ضعيفة، وقد حكى بعض العلماء إجماع أهل السنة على هذا المانع.^(٤)

(١) مجموع الفتاوى، ٣/ ٣٢١.

(٢) المصدر السابق، ١١/ ٤٠٦.

(٣) محمد بن عبد الوهاب، مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب. (الرياض: دار ابن تيمية). ٦٠/ ١٦.

(٤) عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، ضوابط تكفير المعين، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٥هـ)، ص ١٦.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن المتأول الذي قصد متابعة الرسول ﷺ لا يكفر، بل ولا يفسق، إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية، وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كُفِّرَ المخطئين فيها، وهذا القول لا يُعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع).^(١)

وقد ذكر ابن حزم في هذه المسألة أن قد يؤجر الإنسان على تأويله، ولو بنى قوله أو فعله على خطأ، وهذا نص كلامه: (وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ وَلَا يَفْسُقُ مُسْلِمٌ بِقَوْلِ قَالِهِ فِي اعْتِقَادٍ أَوْ فِتْيَا، وَإِنْ كَلَّ مِنْ اجْتِهَادٍ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَدَانَ بِمَا رَأَى أَنَّهُ الْحَقُّ فَإِنَّهُ مَا جُورَ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنْ أَصَابَ الْحَقُّ فَأَجْرَانِ وَإِنْ أَخْطَأَ فَأَجْرٌ وَاحِدٌ... وَهُوَ قَوْلُ كُلِّ مَنْ عَرَفْنَا لَهُ قَوْلًا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لَا نَعْلَمُ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ خِلَافًا أَصْلًا).^(٢)

٤. الخطأ: وهو أن يقصد بفعله شيئاً فيصادف فعله غير ما قصد، كمن يريد رمي غزالٍ فيصيب إنساناً، أو كمن يريد رمي كتاب كفر فيرمي كتاب الله جلَّ وعلا، والأدلة على العذر بالخطأ كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾. ومن الأحاديث المشهورة في العذر بالخطأ، قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»،^(٣) وهذه

(١) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، (الرياض: مطبعة جامعة محمد بن سعود، ١٩٨٦)، ٢٣٩/٥.

(٢) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (بيروت: مكتبة السلام العالمية، ١٣٤٨هـ) ٢٤٧/٣.

(٣) حديث حسن، رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

الأدلة عامة في العذر من عموم الخطأ، وثمة دليل خاص يدل على العذر من الخطأ في مسائل الكفر، ألا وهو حديث الرجل الذي أخطأ من شدة الفرح.

المسألة الخامسة: من يحق له تكفير المعين؟

سبق من كلام العلماء المحققين أن التكفير أمر خطير، وليس من منهج أهل السنة أن يقوم آحاد الناس - ولا سيما صغار الطلاب منهم - بإقامة حكم الردة على الناس، بل هو حق العلماء الكبار، وكل من لم يصل إلى مرتبتهم فحكمه غير مقبول إذا حكم على شخص. يقول فضيلة الشيخ ابن جبرين رحمه الله: (يحرم على العوام وصغار طلبة العلم أن يحكموا بالكفر على مسلم معين، أو على جماعة معينة من المسلمين، أو على طائفة معينة من الطوائف التي تنسب نفسها إلى جماعة معينة بالكفر، من غير الرجوع إلى العلماء العارفين بحكم ذلك).^(١)



(١) ابن جبرين، ضوابط تكفير المعين، ص ٣١.

الفصل الثاني

تحريم التعليم الغربي

يذهب أصحاب هذه الجماعة إلى أن كل تعليم غربي أو كل التعاليم الحديثة حرام، وتستدل الجماعة بثلاثة أدلة حسب زعمهم، وهي:

١. النظر إلى أصل هذا النوع من التعليم.
٢. حصول الاختلاط بين الرجال والنساء في المدارس.
٣. طبيعة الدروس التي تدرس في هذه المدارس.

الدليل الأول:

يرى المتطرفون أن هذا النوع من الدراسة جاء به القساوسة من الغرب، وأن رواده من البداية هم المستعمرون، وأن المستعمرين جاؤوا به لإبعاد المسلمين عن عقائد الإسلام وتأصيل التربية الغربية في نفوس الناس، وأن نظام التعليم الإسلامي سبق التعليم الغربي في نيجيريا بعشرات السنين، لكن شوهه الغريون وروجوا لتعاليمهم. ويعتمدون في كل ذلك على كتاب الشيخ بكر أبو زيد «المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية تاريخها ومخاطرها».

الدليل الثاني:

أما دليلهم الثاني لتحريم هذا النوع من التعليم فهو أنه نظام يلزم الاختلاط بين الجنسين، ولبس الملابس التي تخالف لباس الإسلام، المبينة للعورة، وهو أمر يخالف قول الله تعالى في سورة النور، الآية ٣١: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ

أَبْنَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِمْ أَوْ نِسَائِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ التَّبَعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴿٣٣﴾. ويستدلون أيضًا بقوله تعالى في الآية ٣٣ من سورة الأحزاب: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾. يستدل علماء هذه الجماعة بهذه الآيات؛ لأن الوسائل لها حكم الغايات، فما دام أن الاختلاط لازم في هذه المدارس فالتعليم كله حرام للرجال والنساء.

الدليل الثالث:

إن بعض المواد المدروسة في هذه المدارس تخالف تعاليم الإسلام وتناقضه، فمثلاً نظرية التطور التي جاء بها ديوي هي مخالفة لقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ في الآية ٢٠ من سورة العنكبوت. وإن نظرية تبخر المياه تخالف قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ طَٰئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَقَدَرُونَ﴾ في الآية ١٨ من سورة المؤمنون. (١)

وإلى ذلك ذهب شيخهم وزعيمهم، وقال: (نحن المسلمون نؤمن بأن الماء ينزل من الله، وليس له علاقة بالشمس)، كما يرون أن دوران الأرض في الجغرافيا وعلم الأجنة كلها مخالفة لتعاليم الإسلام.

يقول قائدهم: (كررت لكم غير مرة أن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول بأن حضور المدارس الغربية أخطر من الذهاب للكنائس، وقال بأن كل المواد المدروسة في

(١) كما أنهم يستدلون بالآية ٤٣ من سورة النور ﴿الْقُرْآنَ اللَّهُ يُسْجِئُ سَعَابًا ثُمَّ نُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّتِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾.

تلك المدارس مخالفة لقول الله، وقد خالفوا تعاليم الإسلام حتى في مثل الخيط، وفي علم الاجتماع لم يثبتوا وجود الله، واعلموا أن هذا موجود في جميع المواد، ويخدعكم كل من ينكر ذلك).^(١)

ويستدل أيضاً بكتاب الشيخ سنوسي يغدا المحاضر في جامعة بايروا، حيث قال فيه المؤلف: (الهدف من التعليم الغربي هو إنتاج الأفرقة الغربيين، يتفكرون مثل الغرب، ويؤمنون بالثقافة الغربية، ويخرجون الدين من السياسة والرياسة، ويدعون إلى حرية المرأة، وحرية التعبير، والأناية في الحياة).

يستدل أهل التطرف بما ذكرنا في تحريم العلوم الطبيعية والتطبيقية، ويضيفون إليها قول الرسول ﷺ: «ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»،^(٢) فلذا يحرمون الانتساب إلى هذه المدارس بأي حال من الأحوال، ولو درست فيها مادة العلوم الإسلامية، ويحرمون بناءها أيضاً أو المساعد في ذلك، وكل مال وجد من ذلك فهو حرام كذلك.^(٣)

موقف الإسلام من العلوم الطبيعية (غير الشرعية)

لا شك أن الأدلة التي يستدل بها المتطرفون أدلة ضعيفة ومرجوحة عند علماء الدين، والاستدلال بها خطأ واضح، وسنقوم بالرد على هذه الآراء، لكن نذكر أولاً فضل العلم في الإسلام:

(١) انظر الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=Jeowy05QfBw>.

(٢) البخاري، (١٣٥٨).

(٣) انظر كتاب: محمد يوسف أبو يوسف الميذغوري: هذه عقيدتنا ومنهج دعوتنا، مكتبة الغرباء، ط الثانية، ١٤٣٠ هـ.

فضل العلم في الإسلام

القرآن الكريم مليء بالآيات القرآنية التي أمرت بالتفكر في آيات الله تعالى في الكون، في السماء وفي الأرض وما بينهما، هناك ما يزيد على (٧٥٠) آية في القرآن التي تحث على مثل ذلك، منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَالْإِنَّمُودُ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوْمٍ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، وقوله تعالى في سورة الرعد: ﴿هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رِوَجِينَ أُنثِينَ يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ وفي الأرض قطع متجوزات وجنت من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ويفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، وقوله جل في علاه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.

هذه الآيات التي سردناها تحث وتحض على التفكير في آيات الله، والنظر فيها لا يمكن إلا بالعلم أو الخبرة، والخبرة تكون بالتجربة، فأيات آل عمران والرعد حث الله تعالى فيها على التفكير في آيات الله في السموات والأرض وما بينهما، والليل والنهار، والإنسان بحاجة إلى معرفة علم الحيوانات، والحشرات، والأسمك، وغير ذلك قبل أن يستطيع التفكير فيما ذكرت في هذه الآيات، وهكذا الإنسان بحاجة إلى معرفة علم النبات والزرع، قبل التفكير في مخلوقات الله المتعلقة بذلك، وهذه كلها مواد تدرس في المدارس التي حرّمها المتطرفون.

وآية هود تدل على أن من أهداف خلق الإنسان في الأرض أن يستعمرها، وآية الملك تدل على جواز التواصل والمواصلات، والزراعة، وما إلى ذلك، وهذه لا ينبغي القيام بها إلا بعد معرفة علم الاتصالات وعلم الزراعة وعلم الاقتصاد وغيرها.

فالإسلام يحرض المسلمين على التعلم بنوعيه: التعليم الشرعي، والتعليم الطبيعي التطبيقي، العلوم الشرعية تعرف الإنسان بالله عز وجل، وهي أعظم وأفضل العلوم عند الله، والعلوم الطبيعية تعرف الإنسان بالدنيا، ومعرفة الفنون التي أمرنا الله بالتفكير فيها. والعلوم الطبيعية أيضاً قسمان: علم نافع مفيد، وغير نافع. فالعلم النافع هو العلم الذي يساعد المسلم على دنياه ليمهد لآخرفته، وكل العلوم النافعة تدخل في هذا القسم، ويحل للمسلم أن يتعلمها، ويحثهم الإسلام عليها، لذا يجب أن يتعلمها المسلمون ويفوزوا فيها بقصب السبق حتى لا يكونوا عالة على غيرهم. وليس من هدف الإسلام أن يُعرض المسلمون عن الدنيا، لأن أعداءهم يتفوقون عليهم في علم الكيمياء والفيزياء، والاقتصاد، والقوة العسكرية، لكن المسلم القوي هو الذي يعرف دينه، ويطلب آخرته، ويهتم قدر استطاعته بدنيته لبناء آخرته، وهذا مفهوم من قوله تعالى في سورة القصص الآية ٧٧: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

وعدم العلم بهذه العلوم يعتبر من الجهل كما في مسند الإمام أحمد: عن أسامة بن شريك، قال: «كنت عند النبي ﷺ وجاءت الإعراب فقالوا: يا رسول الله أنت داوى؟ فقال: نعم يا عباد الله، تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً غير داءٍ واحد. فقالوا: ماهو؟ قال: الهرم. وفي لفظ: إن الله لم ينزل داءً إلا له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله». (١) ففي هذا الحديث الحث على تعلم العلوم المتعلقة بالطب والصيدلة، وغيرها من علوم الطب.

(١) مسند الإمام أحمد، (١٧٧٢٨).

وهكذا روي عن الإمام الشافعي رحمه الله، حيث يقول: (لا أَعْلَمُ عِلْمًا بَعْدَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، أُنْبَلُ مِنَ الطَّبِّ إِلَّا أَنْ أَهَلَ الْكِتَابِ قَدْ غَلَبُونَا عَلَيْهِ).^(١) ففي هذا الكلام يحثنا الإمام الشافعي على تعلم الطب وأهمية هذا العلم، حتى وصفه بأنه أشرف العلوم بعد علم الشريعة، كما أظهر تحسره على تهاون المسلمين وتقاعدتهم عن تعلمه، حتى فاقهم فيه أهل الكتاب، وإذا ترك المسلمون هذه العلوم فمن الذي يقوم برعاية مرضاهم؟ أم هل نسلمهم للكفار؟

إضافة إلى ذلك، روى جابر رضي الله عنه، أن رسول الله عليه وسلم، قال: «خير الناس أنفعهم للناس»^(٢) ولا شك أن علم الطب لهو من وسائل مساعدة الناس في عصرنا هذا، ومن طرق مساعدة الناس أيضًا، التخصص في علم من العلوم الحديثة؛ بغية مساعدة الأمة، ومنها مثلاً: الدفاع المدني، وخبراء الزراعة، ونستطيع أن نقول بأن الجهل بها من الأمور التي تسد أبواب مساعدة المسلمين لأمتهم.

وكل ما سبق من الأدلة يدل على أن دين الإسلام دين وعي وثقافة، يصلح لكل عصر ومصر، وقد أرسل النبي ﷺ زيد بن ثابت لتعليم السريانية كما رواه البخاري والترمذي. فأذن له النبي ﷺ بمخالطة اليهود، مما يدل على جواز التعلم من غير المسلم. وفي غزوة الخندق قبل النبي ﷺ حيلة الصحابي الجليل سلمان رضي الله عنه، حيث حفروا الخندق، وهي خبرة غير المسلمين من فارس، وهذا يدل على أنه قد يكون أصل الشيء من غير المسلمين لكن يستعمله المسلمون كما فعل الرسول ﷺ، وفي الأخير ينبغي أن نعلم أن تعلم هذه العلوم من فروض الكفاية التي يجب على بعض المسلمين القيام بتعلمها.

(١) ياسر الحمداني، حياة التابعين، ١/١٦٦٢.

(٢) السلسلة الصحيحة، عن أبي هريرة، (٤٢٦)، إسناده حسن.

مناقشة أدلة المتطرفين في تحريم التعليم الغربي

نرجع الآن إلى حجج المتطرفين في تحريم هذا النوع من الدراسة، وأنه جاء به القساوسة من الغرب، وأن رواده من البداية هم المستعمرون، وأن المستعمرين جاؤوا به لإبعاد المسلمين عن عقائد الإسلام، وتأصيل التربية الغربية في نفوس الناس، حيث يعتمدون في كل ذلك على كتاب الشيخ بكر أبو زيد «المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية تاريخها ومخاطرها»، وكتاب سنوسي يغدا.

مناقشة الدليل الأول.

أولاً يجب أن نسلم بأن هذا النوع من التعليم جاء به المستعمر، لكن لا ننسى أن علماء الإسلام عملوا أعمالاً جبارة في سبل تطوير هذه العلوم التي تسمى اليوم بالعلوم الحديثة، لكن الغربيين لما استعمروا الأندلس، أخذوا ونهبوا كتباً كثيرة من كتابات المسلمين حول هذه العلوم، وترجموها إلى لغاتهم، وقاموا بالعمل بها وتطويرها، ثم أرجعوها إلينا بعد ذلك، وإذا نظرنا إلى المسلمين الذين تعلموا هذه العلوم في القرن الثاني رأينا أنهم أخذوها من غير المسلمين الإغريق.

مثلاً تعلم الإمام الغزالي علم الفلسفة وتبحر فيه، حتى كتب كتابه «مقاصد الفلسفة»، ثم بعد ذلك تبرأ منها، وكتب كتابه «تهافت الفلسفة»، الذي كفر فيه كل علماء الفلسفة في عصره، وهكذا شيخ الإسلام ابن تيمية تعلم الفلسفة، ثم طعن فيها في كتابه «الرد على المنطقيين»، وكتاب «درء تعارض العقل والنقل»، فلو أن هؤلاء العلماء لم يقوموا بمعرفة هذا الفن لما عرفوا كيفية الرد على أصحابه، وإن ذلك يدل على جواز الأخذ من غير المسلم، ولنفرض أنها من أوروبا، لكنها تعتبر

من الحكمة، ويقول الحكماء: (الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها أخذ بها)،^(١) بمعنى أنه لا داعي من السؤال عن مصدر هذا العلم أو الحكمة، أو من الذي جاء به، أو بأي لغة تدرس هذه المادة وغير ذلك، لكن المنبغي هو أن تسأل: هل ينفعني هذا العلم وينفع ديني؟ إذا كان الجواب نعم، سعى في طلبه، ويؤيد ذلك أيضا حديث تصديق النبي ﷺ للشيطان.^(٢)

وقد ثبت أن النبي ﷺ أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود،^(٣) وهذا يدل على أن النبي ﷺ لم يأذن له في التعلم منهم فحسب، بل أذن له كذلك أن يخالط غير المسلمين ويتعامل معهم حتى يتعلم منهم. والحديث يدل كذلك على جواز تعلم لغة الكفار والتحدث بها. وأيضا فإن النبي ﷺ قبل رأي سلمان الفارسي حين أشار إليه بحفر الخندق كما كان يصنع الفرس - وكانوا كفارا - تحصنا من العدو، ومع ذلك عمل به النبي ﷺ، وهذا يدل على أن الأمر قد يكون أصله من غير المسلمين، ومع ذلك يعمل به المسلمون كما عمل به النبي ﷺ.

وهب أن المستعمرين لهم أهداف وراء تدريس هذه العلوم في ديارنا، لكن ليسوا اليوم من يقوم بالتدريس في هذه المدارس، فالمدرسون فيها مسلمون، وخاصة المدارس في شمال نيجيريا، ولا نجد أحدا من الأوربيين اليوم الذي يملئ على الناس أو يجبرهم على ما سيدرسونه، لذا فاتهم الأوربيين يكون كاتهم آدم عليه السلام على خروجه من الجنة بدلا من الدوام فيها.

(١) اختلف العلماء في تصحيح هذا الأثر على أنه حديث، انظر الحديث (٢٦٨٧) في سنن الترمذي، صححه الإمام السيوطي لكن بعض العلماء يضعفونه.

(٢) البخاري (٥٠٩)، ومسلم (٥٠٥).

(٣) رواه أبو داود (٣٦٤٥).

وبعد ذلك نقول: ينبغي أن نلاحظ أن كبار علماء الإسلام اختلفوا في بعض المواد التي يطعن فيها المتطرفون. فمثلاً: روى ابن تيمية أن الشيخ أحمد بن جعفر المنادي، والشيخ ابن حزم، والشيخ ابن الجوزي كلهم اتفقوا على كروية الأرض، وهذا هو رأي الشيخ الآلوسي في روح المعاني، والشيخ أحمد شاكر في كتابه «حكم الجاهلية»، والشيخ الألباني في شرحه على تصحيح العقائد، كل هؤلاء العلماء قد خالفوا زعيم التطرف في فهم هذه القضية كما في كتابه «هذه عقيدتنا».

مناقشة الدليل الثاني.

أما ما يتعلق بالاختلاط والتعري، نقول بأن هذه المدارس على طبقات، هناك ثانويات وما دونها، وهناك جامعات وكليات. وأغلب هذه المدارس ليس لها أنظمة خاصة باللباس الذي يلبسه الطالب، وبعضها لديها هذه الأنظمة، وحتى في المدارس التي ليس لديها ذلك فإنها لا تمنع لباس الحياء والحشمة، فكل من لبس مثل هذه الألبسة أو اختلط فإنه باختيار منه ولا يحصل ذلك بشكل إجباري، ولنعلم أن جل المدارس الثانوية في شمال نيجيريا لا تخلط بين الجنسين في مدرسة واحدة، وأن لديها أنظمة حادة على اللباس الموافق للشريعة الإسلامية.

وحتى لو حصل ذلك، فالذي ينبغي هو أن ننظر إلى ما هو الأصح للمسلمين، وهل ترك الدراسة بالكلية أولى من الدخول في هذه المدارس؟ فنأخذ هنا بالقاعدة الفقهية: ارتكاب أخف الضررين، وإذا أخذنا هذه القاعدة رأينا أن الدخول فيها أولى لنفعل أنفسنا وديننا، ونحمي أنفسنا من الجهل بأمور عصرنا للضرر الذي يعود علينا بسبب ذلك، لذا فإن عمل المسلمين هو وجوب الإصلاح في الأنظمة التعليمية لنفع الأمة، لا أن نذهب بعيدين عنها، وأنا إذا تركنا هذه المدارس من أجل الاختلاط

أو التعري، فكيف نفعل في أسواقنا، ومستشفياتنا، ومحطاتنا، وأماكن كثيرة... إذا وجد الاختلاط في هذه الأماكن هل نمنع المسلمين من التعامل فيها؟
وأما الأقوال التي يتمسك بها المتطرفون فإنهم يختارون ما طاب لهم فقط منها، ويذرون غير ذلك كما يفعلون في نصوص القرآن والسنة، أو أنهم لم يفهموا كلام هؤلاء العلماء فهما صحيحًا.

مناقشة الدليل الثالث.

لا شكَّ أنَّ بعض المواد المدروسة تخالف تعاليم الإسلام، لكن ينبغي أن نعلم أنها مجرد آراء وبحوث بعض الأشخاص، والطالب غير مجبور على قبولها أو رفضها، فمثلاً نظرية التطور التي بدأها ديوي هي رأي شالز داروين الذي يرى أن أصل بني آدم من القرد، وفي نفس المادة هناك آراء أخرى مخالفة لرأي شالز، ولا يجبر أحد من الطلاب على اختيار قوله، فالطالب العاقل يختار ما يوافق دينه ويترك ما سواه.

توضيح حول هذه المسألة.

أولاً: كتاب الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله، المراد به التحذير من مدارس المنصرين واليهود، التي اهتم الأوربيون بإنشائها في بلاد المسلمين، ومنذ الوقت الذي نادت أمريكا بنظام «النظام العالمي الجديد» بقصد غزو المسلمين في علومهم وثقافتهم، لذا فإن هذا الشيخ لا يتحدث عن المدارس التي تدرس المواد الطبيعية في بلداننا.

ويزيد الأمر وضوحًا لما قسم الشيخ هذه العلوم في كتابه إلى ثلاثة أقسام: المدارس الحكومية، المدراس الأهلية، والمدارس التنصيرية (المدارس الأجنبية)،

وقد ألف الشيخ كتابه حول هذا القسم الثالث، المدارس الأجنبية، لكن جماعة المتطرفين وعلماءهم ظنوا أن الشيخ تحدث عن جميع الأقسام، وظنوا أن كل المدارس الطبيعية فهي أجنبية، وهو فهم خاطئ.

وذكر الشيخ بعض العلامات التي توجد في المدارس التي يقصدها:

١. إظهار بعض شعائر المسيحية.

٢. إجبار الطلاب على حضور أماكن عبادات المسيحية.

٣. الطعن في الإسلام.

وكل من عرف نظام المدارس الحديثة في بلادنا اليوم، عرف أنه لا يوجد فيها هذه الأمور، إلا إذا اختار الشخص المدارس الأهلية التي تفعل هذه الأشياء، وهو الذي اختار ذلك لنفسه، وكل من ألقى في اليم فلا بد أن يتبل بالماء، فإما أن يكون هؤلاء المتطرفون لم يفهموا هذا الكتاب أو أنهم تعمدوا تليفق الحقائق المذكورة في الكتاب.

ثانيًا: كتاب الشيخ سنوسي يغدا، أيضًا هم غيروا معانيه، وسبب تأليفه، والسبب في تأليف الكتاب هو بيان وتوضيح بعض الحقائق في هذه المدارس لتصحيحها، واقترح المؤلف الوسائل والسبل المناسبة لذلك، ولم يحرم الدخول في هذه المدارس، ولم يناد بالخروج منها كما فعل المتطرفون، والعكس صحيح، لأن المؤلف محاضر في قسم الاتصالات بجامعة بايرو، وله ثلاث شهادات ليسانس في ذلك. وفي حوارنا معه أبدى لنا المؤلف أن المتطرفين غيروا وبدلوا المراد من كتابه.^(١)

(١) وحصل ذلك في مؤتمر أبوجا بين ١٦ و١٧ مايو، عام ٢٠١٧م.

ثالثاً: أما عن كلام قائدهم الذي ذكر فيه كلام ابن تيمية فإنه كذب على ابن تيمية، لأنه لم يذكر هذا الكلام، ولا يوجد أمثال هذه المدارس في عهد ابن تيمية رحمه الله، لذا لم يذكر مصدر هذا الكلام لأنه هراء.

أما عن الأدلة التي يستدلون بها من علماء السنة فإنها تؤيد كلامهم في الظاهر، ولم يراعوا الظروف والأحوال حال الفتوى، مثلاً يستدلون بفتوى الشيخ ابن عثيمين التي توافق رأيهم، وينسون أن الشيخ رحمه الله ذكر في كتاب العلم أنه يجوز السفر إلى أمريكا للتعلم بضوابط:

١ - أن يكون عند إنسان علم يدفع به الشبهات، لأن في بلاد الكفار يوردون الشبهات بقصد رد المسلمين عن دينهم.

٢ - أن يكون عند الإنسان دين يدفع به الشهوات، فلا ينغمس في المعاصي.

٣ - أن يكون محتاجاً إلى السفر بحيث لا يوجد هذا التخصص في بلاد الإسلام. ^(١)

وهكذا يستدلون ببعض فتاوى علماء السعودية، وهي فتاوى لظروف خاصة يعممها المتطرفون، ويتركون كل ما سوى ذلك من الفتاوى.

ومما سبق من الأدلة عرفنا أن تحريم هذه العلوم، أو العمل في هذه المدارس، أو بنائها أو تحريم مساعدة بنائها كل ذلك خطأ واضح، وحججهم داحضة جداً، وأن تعلم العلم النافع حلال في الإسلام، بل الإسلام يحض المسلمين على تعلمها لكيلا يتضرر المسلم إذا جهلها، لذا تصدر المسلمون في تطويرها على مر العصور.



(١) انظر: كتاب العلم، ص ١٠٠.

الفصل الثالث

العمل تحت الحكومات العاملة بالنظام الديمقراطي

إن موقف المتطرفين في العمل تحت الحكومات الديمقراطية أنه كفر، ويعتقدون أنه يلزم المسلمين الابتعاد عن العمل مع الحكومات الديمقراطية، أو كل قانون لا يخضع لحكم الله تعالى، أو كل نظام دستوري يخالف الدين الإسلامي، ويعارض الكتاب والسنة. ويرون أن قبول العمل من هذه الحكومات يلزم طاعتهم والخضوع لحكمهم، وموافقتهم على قراراتهم الكفرية، واستدلوا في دعم شبهاتهم بأدلة كثيرة من القرآن، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا وَعَلَٰئِزَّيْهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا نَبَّأْنَاهُمْ أَنَّهُمْ أَهْدَىٰ الشَّيْطَانِ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ۗ﴾ [٢٥] ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ سورة محمد (٢٦)، وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْكَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة (٣١)، لذلك حكموا بتحريم العمل تحت ولاية لا يخضعون لحكم الكتاب والسنة؛ لأن طاعتهم كفر.

كما يتضح لنا هنا أنهم اعتمدوا على آي القرآن من سورة هود، ومحمد، والتوبة؛ لدعم فكرة تحريم العمل تحت الحكومات الديمقراطية مثل حكومة نيجيريا، وإن كانوا قد أخطأوا في حمل الآيات معنى تحريم العمل تحت الحكومات الديمقراطية. أولاً: في آية سورة هود استدلوا بتعليق عبد الرزاق المهدي على تفسير الإمام الشوكاني، توهموا أنه يؤيد موقفهم، والحاصل أنه على عكس ذلك، فإن مدلول

كلام الشوكاني وتعليق المهدي كان على توجيه معنى «الركون» الوارد في الآية، فإن تفسيرهما هو أن الآية تشير إلى تحريم الركون إلى الظلمة.

والرد لهذا الوهم هو نفس كلام الشوكاني في السياق نفسه، حيث قسم الركون إلى قسمين: الركون مع الاعتقاد، والركون في الظاهر فقط، فالأول حرام؛ لأنه يقتضي قبول الظلم والرضا به، بينما الثاني جائز حيث يكون عزم صاحبه فقط هو العمل الصالح تحت نظام فاسد، وهذا - كما ذهب الشوكاني - يتضمن طاعتهم - أي الظلمة وأنظمتهم - لدفع الضرر والفساد، أو لجلب منافع معينة، ثم عمم الشوكاني مشيراً إلى جواز البيعة أو العمل تحت أي نظام ما لم يكن ذريعة لمعصية الله،^(١) وموقفنا هنا هو أن المسلمين في نيجيريا سواء المنتظمون مع أي عمل حكومي أو غيرهم ليسوا مجبرين على معصية الله، كما أنهم ليسوا مأمورين بقبول الظلم والظلمة إلا من سولت له نفسه فعل ذلك.

أما الآية الثانية في سورة محمد فإنها لا تدل على ما ذهب إليه المتطرفون من تحريم العمل تحت حكومة علمانية، فإن ما في التفاسير المعتمدة أمثال ابن كثير: فإن الآية تتحدث عن طاعة الكفار فيما اعتقدوا وفي كفرهم كما هو حال المنافقين الذين آمنوا بأفواههم خلاف ما في قلوبهم.^(٢)

وفي آية سورة التوبة وهي الثالثة والأخيرة مما استدل به المتطرفون وهي أيضاً لا تؤيد شبهتهم هذه البتة! لأن شبهتهم في الآية هي: أن اتباع الأحبار والرهبان الذين ليسوا على هدى الله وشريعته هو عين العبادة لهم كما دل على ذلك الحديث

(١) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٧)، ٢/٧٤٠.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (القاهرة: دار ابن الهيثم، ٢٠٠٥)، ٤/٢٦٢٩.

الشريف، نحن هنا لا نختلف معهم فيما تدل عليه هذه النصوص من تحريم صرف العبادة لغير الله، إنما الخلاف في تفسيرها وتطبيقها على ما لا علاقة لها به، وهو العمل تحت الحكومات الديمقراطية.

ومن الشبه التي اعتمدوا عليها أن موقفنا في تحريم الخروج على الحكومات الديمقراطية أو الحكومات التي يقودها غير المسلمين موقف هوى، في اعتقادهم أن مثل هذه الحكومات ليس لها سلطة شرعية على المسلم، وأن الولاء لحكامها إنما هو من أعمال الصوفية والشيعة. هذه الشبهة غير مقبولة، إذ يعارضها كثير من النصوص التي سنوردها لاحقاً، هذه الشبه خارجة عن محل النزاع، وهي صرف عن موضوع الوظائف الحكومية إلى موضوع الخروج على الحكومات والذي تم الحديث عنه تحت موضوع الديمقراطية في مبحث عن نظام الحكم الإسلامي.

ومن النصوص التي استدلووا بها على شبههم بعض الأحاديث النبوية، كالتالية:
حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قَالَ: فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةَ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ». (١)

حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ».

حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُعِيدُكَ بِاللَّهِ يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ مِنْ أَمْرَاءَ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ فَصَدَّوهُمْ فِي

(١) صحيح البخاري (٧٠٥٦)، وصحيح مسلم (١٧٠٩).

كَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَا يَرُدُّ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ غَشِيَ آبَاءَهُمْ أَوْ لَمْ يَعْشَ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنِّهِمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَسَيَرُدُّ عَلَيَّ الْحَوْضَ». (١)

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً، فكان من خطبته أن قال: «ألا إني أوشك أن أدعى فأجيب، فيليكم عمال من بعدي، يقولون ما يعلمون، ويعملون بما يعرفون، وطاعة أولئك طاعة، فتلبثون كذلك دهرًا، ثم يليكم عمال من بعدهم يقولون ما لا يعلمون، ويعملون ما لا يعرفون، فمن ناصحهم ووازرهم وشد على أعضادهم فأولئك قد هلكوا وأهلكوا، خالطوهم بأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم، واشهدوا على المحسن بأنه محسن، وعلى المسيء بأنه مسيء». (٢)

حديث عبد الله بن رافع رضي الله عنه، عن عبد الله بن رافع، مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ، إِنْ طَأَلَتْ بِكَ مُدَّةٌ، أَنْ تَرَى قَوْمًا فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقْرِ، يَغْدُونَ فِي غَضَبِ اللَّهِ، وَيَرُوحُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ». (٣)

حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في هذه الأمة في آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذنان البقر، يغدون في سخط الله ويروحون في غضبه». (٤)

(١) الترمذي، ١/٧٥٣، دار المغرب الإسلامي، بيروت.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ص ٤٥٧.

(٣) صحيح مسلم، ٤/٢١٩٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (ص ٥١٧).

هذه النصوص يستدل بها المتطرفون على أنها تدل على تحريم الولاء والعمل تحت أي حكومة لا تحكم الكتاب والسنة، كالشرطة، والعسكرية، أو نحو ذلك مما يدل على الولاء للحكومات الوضعية - الشيطانية -، ثم استدلوا على شبهتهم بكلام الشيخ مقبل الوداعي الذي يزعمون أنه يؤيد موقفهم في هذه المسألة.

وعلى هذا الأساس بنوا عقيدتهم في (الخروج والهجرة) التي جعلتهم يخرجون على الحكومة النيجيرية لإقامة دولتهم الإسلامية المزعومة، وهذا الذي جعلهم يكفرون الحكومة برمتها، وأنها غير شرعية، وأنها دار حرب لا يجوز للمسلم الولاء ولا العمل تحتها.

إن موقفنا هنا هو أنه ليس هناك جزء من هذه النصوص المورودة يؤيد ما عليه المتطرفون، فإننا إذا نظرنا إلى شرح العلماء المعتمد على علمهم نجد أن شرحهم لها مخالف تمامًا لما عليه المتطرفون.

يقول الإمام النووي في سياق شرحه لحديث عبادة بن الصامت المستدل به سابقًا: (وَأَمَّا الْخُرُوجُ عَلَيْهِمْ وَقِتَالُهُمْ فَحَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ كَانُوا فَسَقَةً ظَالِمِينَ، وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَحَادِيثُ بِمَعْنَى مَا ذَكَرْتُهُ، وَأَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ أَنَّهُ لَا يَنْعَزِلُ السُّلْطَانُ بِالْفُسُقِ).^(١)

وعلى نفس المنهج ذكر سائر العلماء ما يوافق قول النووي في شرحهم لهذه النصوص. فإن موقف كافة علماء أهل السنة الذين يستدل المتطرفون بأقوالهم مخالف تمامًا لما هم عليه من الفهم الخاطيء للنصوص الشرعية على أنها تحرم العمل تحت الحكومات الغير الإسلامية. فإن حديث عبادة الذي هو العمدة في هذا

(١) أبو زكرياء يحيى بن شرف النووي، المنهاج، ١٢ / ٢٢٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الباب يدل على أن الخروج إنما يجوز في حالة ظهور (الكفر البواح)، لكن حتى وإن وجد ما يدل على الكفر البواح مثل أن يكون الحاكم غير مسلم فإن العلماء ذكروا شروطاً يجب اعتبارها قبل محاولة إزالة تلك السلطة، ومن أمثالهم الشيخ محمد بن صالح العثيمين الذي كثيراً ما ينقل المتطرفون أقواله، ذكر الشيخ خمسة شروط متعلقة بالعمل بحديث عبادة قبل جواز الخروج على الحكام:

الأول: قوله: أن تروا، فلا بد من علم، أما مجرد الظن، فلا يجوز الخروج على الأئمة.

الثاني: أن نعلم كفرًا لا فسقًا. الفسوق، مهما فسق ولاة الأمور لا يجوز الخروج عليهم.

الثالث: الكفر البواح، وهذا معناه الكفر الصريح، البواح الشيء البين الظاهر، فأما ما يحتمل التأويل فلا يجوز الخروج عليهم، يعني لو قدرنا أنهم فعلوا شيئاً نرى أنه كفر، لكن فيه احتمال أنه ليس بكفر، فإنه لا يجوز أن ننازعهم أو نخرج عليهم، ونولهم ما تولوا.

الرابع: عندكم فيه من الله برهان، يعني عندنا دليل قاطع على أن هذا كفر، فإن كان الدليل ضعيفاً في ثبوته، أو ضعيفاً في دلالته، فإنه لا يجوز الخروج عليهم.

الخامس: وإذا رأينا هذا مثلاً فلا تجوز المنازعة حتى يكون لدينا قدرة على إزاحته، فإن لم يكن لدينا قدرة فلا تجوز المنازعة؛ لأنه ربما إذا نازعنا وليس عندنا قدرة يقضي على البقية الصالحة، وتتم سيطرته. ^(١)

من خلال هذه البراهين يتضح لك أيها القارئ الكريم أن تفسير المتطرفين للأحاديث النبوية إنما هو ناتج عن جهل أو وهم أو هوى.

(١) الشيخ محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، ٢/ ٤٢٣، دار الوطن، الرياض.

وفي الأخير إن في استدلالهم لكلام الشيخ مقبل الوادعي انحرافاً عن الحق، إذ كيف يستدل بكلام شخص معتقده مخالف تماماً للتطرف في تأييد منهج التطرف. إن المسلم الذي لديه أقل معرفة بالعلماء في هذا العصر يعرف من الشيخ مقبل وما هو موقفه تجاه الحكومة والحكام. فمن ألقى نظرة في حياة الشيخ مقبل وأفكاره الدعوية يعلم يقيناً أنه لا صلة له، من قريب أو بعيد، بأعمال العنف التي تقوم به العصابات المتطرفة والمنحرفة، مثل تنظيم (القاعدة). وينيظ بها مسؤولية إحداث البلبلة وزعزعة الأمن العام في العالم الإسلامي. يقول في مقابلة له: (لقد أرسلت في الواقع نصيحتي وتحذيري إلى «ابن لادن»، ولكن الله وحده يعلم ما إذا كان قد وصل بالفعل أم لا، ومع ذلك، جاء إلينا بعض هؤلاء الناس، وقدموا تبرعاتهم ومساعداتهم في الوعظ والدعوة لله. بعد ذلك، وجدناهم يرسلون الأموال، مطالبين بتوزيعها على قادة القبائل المختلفة. كانوا يحاولون شراء قاذفات صواريخ وبنادق آلية، لكنني رفضتهم وقلت لهم أن لا يأتوا إلى منزلي أبداً، أو وضحت لهم أن ما نقوم به هو الوعظ فقط، ولا نسمح لطلابنا بفعل أي شيء سوى ذلك).^(١)

وقد ألف الشيخ الوادعي كتاباً صنف فيه أسامة بن لادن أنه رئيس التفريق، والتحزب، والاختلاف، والجهل، وأيضاً فإن الشيخ مقبل كثيراً ما يباعد نفسه عن منهج حركات التطرف التي جاءت بعد وفاته تعتمد على نقولات من كلامه، ورد في مقالة له في صحيفة **Yemen Times** يقول: (نحن بعيدون جداً عن كوننا إرهابيين، ندعو إلى القرآن والسنة وإلى نبذ العنف وعدم التسامح، نحن أنفسنا

(١) تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب، دار الآثار، الطبعة الأولى، صنعاء، تحت عنوان: من وراء التفجير في أرض الحرمين؟

ندين الجماعات الإسلامية التي تستخدم الإرهاب والعنف لتحقيق أهدافها، حتى في الدول غير الإسلامية؛ لأنها تخيف المواطنين والأبرياء من الإسلام، وتبعدهم عن مفاهيمها الأصلية للسلام والوئام. من المشروع أن يقاتل أهل السنة أعداءهم وأعداء الإسلام عندما يشعرون بالتهديد من جانبهم من حيث الهجمات العسكرية وغيرها، ومع ذلك نحن الذين نحارب الإرهاب وندين مثل هذه الأنشطة باسم الإسلام، ولكن عادة أولئك الذين لا يعرفون عنا وعن القرآن الكريم يقولون ما هو غير عادل وغير صحيح عنا).^(١)

فنفهم من هذا الاستدلال أن الشيخ مقبل يخالف ما ذهب إليه أصحاب الفكر المتطرف، ولذلك لا يمكن أن يستدلوا بقوله على منهجهم. أما اعتراض الشيخ مقبل على العمل مع الحكومات التي لا تعمل بالشرعية الإسلامية، فإما أن يكون أمرًا لا يمكن تطبيقه في الوضع النيجيري، أو يكون رأيًا مرجوحًا مخالفًا لرأي من هو أثقل منه وزنًا من علماء أهل السنة، حيث صرح أولئك العلماء بجواز العمل في السلك الأمني والقضائي حتى في البلاد التي تحكمها الحكومات غير المسلمة، لاسيما إذا كان العامل يستطيع قدر إمكانه أن يقدم عملاً صالحًا حسب كفاءته وطاقته.

وهذا الرأي ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية،^(٢) والشيخ عبد العزيز بن

(١) Salafi Publications, "Shaikh Muqbil bin Hadi'ee Interview with Hasan al-Zayidi of the Yemen Times". Accessed from:
<http://www.spubs.com/sps/sp.cfm?subsecID=MSC06&articleID=M-SC060013&articlePages=1> on 16 February 2019.

(٢) مجموع الفتاوى، ٣٠/٣٥٧-٣٥٨.

باز،^(١) والشيخ محمد بن صالح العثيمين،^(٢) والشيخ محمد ناصر الدين الألباني،^(٣) والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين،^(٤) وغيرهم من العلماء.

فإذا تأملنا أقوال العلماء المذكورين آنفاً يتبين لنا جواز العمل مع الحكومات وإن كانت علمانية الوضع، وذلك ليتمكنوا من جلب المصالح العامة ويدافعوا عن الأمة من المفسد ما يستطيعون، ولا يخفى لأحد ما للأمة الإسلامية اليوم من ضغوط واعتراضات في كل مكان بدون اعتبار الأقلية أو الأكثرية.

فبين يدي القارئ بعض الأدلة التي استدلت بها العلماء على جواز العمل ولو تحت حكومة غير الإسلامية، قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾ سورة يوسف (٥٥)، ذهب أكثر المفسرين على أن هذه الآية دليل على جواز العمل تحت نظام وضعي، لأن يوسف عليه السلام عمل تحت حكومة غير المسلمة، وحكم الآية باقٍ في أمة محمد ﷺ لم ينسخ.

نذكر من أقوال أهل العلم في تفسير هذه الآية على ما يلي:

(١) عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مجموع فتاوى ورسائل:

<https://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=327965>

(٢) ابن عثيمين، محمد بن صالح، فتاوى.

<https://mawdoo3.com>

(٣) الألباني، محمد ناصر الدين، فتاوى:

<https://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=327965>

(٤) عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، فتوى رقم. ١١٤٧٠.

<http://cms.ibn-jebreen.com/fatwa/home/view/11470#.XGfuCOhKjIU>

قال القرطبي رحمه الله: (قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يُبِيحُ لِلرَّجُلِ الْفَاضِلِ أَنْ يَعْمَلَ لِلرَّجُلِ الْفَاجِرِ، وَالسُّلْطَانَ الْكَافِرِ).^(١)

قال الزمخشري رحمه الله: (وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحق وبسط العدل، والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أن أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا. فإن قلت: كيف جاز أن يتولى عملاً من يد كافر ويكون تبعاً له وتحت أمره وطاعته؟ قلت: روي عن قتادة: قال: هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان جائر، وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه. وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق، فله أن يستظهر به).^(٢)

قال الألوسي رحمه الله: (وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه بالحق إذا جهل أمره، وجواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة وإن كان من يد الجائر أو الكافر، وربما يجب عليه الطلب إذا توقف على ولايته إقامة واجب مثلاً وكان متعيناً لذلك).^(٣)

قال النسفي رحمه الله: (وفيه دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عمالة من يد

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤). ٢١٥ / ٩.

(٢) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠٠٦، ٤٧٣ / ٢ - ٤٧٤.

(٣) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣ / ٥.

سلطان جائر، وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة).^(١)

قال سعيد حوى رحمه الله في تفسيره «الأساس في التفسير»: (في طلب يوسف الولاية من سلطة كافرة بناء على كفايته، وأمانته في القيام بمضمونها، وقبوله ما يشبه الوزارة في دولة كافرة، وهو محل القدوة، دليل على أن حكم الله في هذا الموضوع مرتبط بمصلحة الإسلام والمسلمين ومصلحة الخلق، وهو موضوع يحتاج إلى موازنات كثيرة، وشورى من أهلها إن وجدوا، وقد غلط ناس ظنوا أن المشاركة في وزارة أو غيرها في كل سلطة كافرة حرام بإطلاق، وفي ثناء يوسف عليه السلام على نفسه دليل على أنه يجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره للحاجة).^(٢)

ومما يستدل به العلماء في جواز عمل المسلم مع الحكومات غير المسلمة: قصة نبي الله شعيب عليه السلام إذ قال له قومه: ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ سورة هود (٩١)، قال الإمام السعدي رحمه الله عند ما يستخرج الفوائد المستنبطة من الآية:

(ومنها أن الله يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة، قد يعلمون بعضها وقد لا يعلمون شيئاً منها، وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم أو أهل وطنهم الكفار، كما دفع الله عن شعيب رجم قومه بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين لا بأس بالسعي فيها، بل ربما تعين ذلك؛ لأن الإصلاح مطلوب على حسب القدرة والإمكان، فعلى هذا لو ساعد المسلمون الذين تحت ولاية الكفار وعملوا على جعل الولاية جمهورية يتمكن فيها الأفراد والشعوب من

(١) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، تفسير النسفي

(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، دار الكلم الطيب، بيروت ١٩٩٨، ٢/ ١٩٣.

(٢) سعيد حوى، الأساس في التفسير، (القاهرة: دار السلام، ١٤٢٤هـ). ٥/ ٢٦٧١.

حقوقهم الدينية والدينية لكان أولى من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدينية، وتحرص على إبادتها وجعلهم عملاً وخدمًا لهم).^(١)

ومن هذه الأدلة حديث محمد بن كعب القرظي، عند الترمذي، في قصة علي بن أبي طالب مع يهودي، وهذ نصه:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، يَقُولُ: «خَرَجْتُ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَخَذْتُ إِهَابًا مَعْطُونًا، فَجَوِبْتُ وَسَطَهُ فَأَدْخَلْتُهُ عُنُقِي، وَشَدَدْتُ وَسْطِي فَحَزَمْتُهُ بِخُوصِ النَّخْلِ، وَإِنِّي لَشَدِيدُ الْجُوعِ وَلَوْ كَانَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَعَامٌ لَطَعِمْتُ مِنْهُ، فَخَرَجْتُ أَلْتَمِسُ شَيْئًا، فَمَرَرْتُ بِيَهُودِيٍّ فِي مَالٍ لَهُ وَهُوَ يَسْقِي بِبَكْرَةٍ لَهُ، فَاطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ ثُلْمَةٍ فِي الْحَائِطِ، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا أَعْرَابِيُّ؟ هَلْ لَكَ فِي كُلِّ دَلْوٍ بِتَمْرَةٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَافْتَحَ الْبَابَ حَتَّى أَدْخَلَ. فَفَتَحَ فَدَخَلْتُ، فَأَعْطَانِي دَلْوَهُ فَكُلَّمَا نَزَعْتُ دَلْوًا أَعْطَانِي تَمْرَةً حَتَّى إِذَا امْتَلَأْتُ كَفَيْتُ أَرْسَلْتُ دَلْوَهُ وَقُلْتُ: حَسْبِي فَأَكَلْتُهَا ثُمَّ جَرَعْتُ مِنَ الْمَاءِ فَشَرِبْتُ ثُمَّ جِئْتُ الْمَسْجِدَ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيهِ». (٢)

استدل الفقهاء أمثال ابن قدامة في «الكافي»،^(٣) والشوكاني في «نيل الأوطار»^(٤)

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (الرياض: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠)، ١ / ٣٨٨.

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨)، ٤ / ٢٥٦، (٢٤٧٣). قال الترمذي: حسن غريب.

(٣) عبد الله بن أحمد ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ)، ٢ / ٢٢٠.

(٤) الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من حديث السيد الأخيار، (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٣)، ٥ / ٣٥١.

بموجب هذا الحديث على جواز العمل لغير المسلم للتكسب إذا دعت الحاجة الى ذلك.

يقول الإمام العز بن عبد السلام: (وَلَوْ اسْتَوَى الْكُفَّارُ عَلَى إِقْلِيمٍ عَظِيمٍ فَوَلَّوْا الْقَضَاءَ لِمَنْ يَقُومُ بِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ الْعَامَّةِ، فَالَّذِي يَظْهَرُ إِنْفَاذُ ذَلِكَ كُلِّهِ جَلْبًا لِلْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ وَدَفْعًا لِلْمَفَاسِدِ الشَّامِلَةِ، إِذْ يُبْعَدُ عَنْ رَحْمَةِ الشَّرْعِ وَرِعَايَتِهِ لِمَصَالِحِ عِبَادِهِ تَعْطِيلُ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ وَتَحْمُلُ الْمَفَاسِدِ الشَّامِلَةِ).^(١)

هذا غيظ من فيض، هذا ما خالف فيه كبار علماء الإسلام قديماً وحديثاً من علماء التفسير جماعة المتطرفين، وهذا ما قاله محمد يوسف حول هذه المسألة: (عقيدتنا ودعوتنا ترفض العمل تحت الحكومة التي تحكم بغير ما أنزل الله، ولا ترفع راية الإسلام، فلا يحل العمل تحتها؛ لأنه من جملة الطاعات المطلقة، ولا يحل الدخول في الشرطة أو الجند في هذه الحكومات).

وبعد سرد أقوال العلماء، فإن كل عاقل يستطيع أن يوازن بين كلام العلماء المحققين وكلام محمد يوسف الذي بنى عقيدته على أخذ بعض الكلام.



(١) عز الدين بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، (القاهرة: مكتبة الكلية الأزهرية، ١٩٩١). ٧٣/١.

الفصل الرابع

الديمقراطية

تقوم الديمقراطية أساسًا على مبدأ سيادة الأمة، بمعنى أن الشعب والأمة يشكل في مجموعه كيانًا معنويًا مستقلًا عن الأفراد، يمارس السلطات بنفسه، أو عن طريق ممثليه، فيحدد من يحوز السلطة، ومن له الحق في ممارستها، ولا معقب عليه في ذلك؛ لأنه صاحب السيادة.

وينظر في معنى الديمقراطية إلزام الشعب باختيار أعضاء الحكومة، ليكون كأن الشعب هو الذي يسود؛ لأنه اختار صاحب المنصب بنفسه، وينظر في نتائج الانتخابات ليفوز من هو أكثر صوتًا.^(١)

وهو نظام قديم جاء به الإغريق قبل الميلاد بـ ٥٠٧ سنة، وهي مبنية على خمسة قواعد:

١ - حرية التعبير: تتحقق الديمقراطية بحرية التعبير، والذي يعد الشريان الرئيسي للديمقراطية، والأساس الذي تقوم عليه باقي الحريات الأخرى، حيث لكل فرد في المجتمع الحق في حرية التعبير عن نفسه وآرائه وأفكاره، بدون أي قيود من المجتمع والحكومات، حيث نص وأكد عليه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

٢ - حرية التفكير: تقوم على أسس عديدة، منها: الحرية في النشر عن الأفكار، وأيضًا حرية التعبير عنها لنجد أمامنا ملايين من الأفكار والآراء، ولتعدد أمامنا

(١) انظر: العلمانية، الليبرالية، الديمقراطية، الدولة المدنية في ميزان الإسلام، جمع وترتيب اللجنة العلمية بجمعية الترتيل، ٢٢/١.

الخيارات لتتيح للإنسان حرية التفكير فيها، وحرية اعتناق الأفكار والآراء، بل وابتداع أفكارٍ جديدةٍ، وحقه أيضًا في الدفاع عن ما يعتقد.

٣- حرية العقيدة: هي مكملة للبند السابق، فعندما نؤمن بحرية التفكير، وحرية اعتناق الآراء فمن الطبيعي أن يتولد لدينا حرية اعتناق العقائد، واحترام من يعتنق عقيدة معينه، أو ينتقل من عقيدة إلى عقيدة أخرى، أو من لايعتنق أية عقيدة على الإطلاق... كل له حقوقه في الدولة المدنية، على عكس الدولة الدينية التي يتولد فيها تيارٌ يقبل ديانة واحدة، ويقوم بإلغاء باقي الديانات، ولا يقوم بالاعتراف بها أو ينتقص من حقوقها.

٤ - حرية التنظيم: وتتمثل في حرية إنشاء التنظيمات سواء أكانت مدنية، أو سياسية، أو مجتمعية، فكل تنظيم يعني أن هناك جماعة تتفق في الآراء أو تتفق على أهداف معينة تسعى من خلال هذه التنظيمات إلى تحقيقها.

٥ - حرية تبادل المعلومات: عندما تقوم الدول على أساس الثقة بين المواطن والحكومة، وتعترف الدولة بحق المواطن في معرفة مايجري حوله وما تفعله الحكومة، فإنها تقوم بحرية تبادل المعلومات بينها وبين المواطن أو المؤسسات الأخرى الشرعية، كالأحزاب والإعلام والعالم أيضًا، فالكل له الحق في معرفة ما يجري، على الأخص مواطني الدولة، ودافعي الضرائب.^(١)

اختلف علماء هذا العصر في فتاويهم حول موقف الإسلام من الديمقراطية، وهل هو كفر محض صدر من الكفار، أم إنه نظام الكفار لكنه لا يتعارض مع نظام

(١) انظر:

Diamond, L. & Morlino, L. (2004). "The Quality of Democracy: An Overview".
Journal of Democracy. Vol. 15, No. 4. Pp 20-31.

الإسلام، بعض العلماء يعتبرونه كفرًا؛ لأنه ليس من الله ولا من الرسول ﷺ، وإنه بالنظر إلى أصله فهو نظام يخالف نظام الحكم في الإسلام، ويشتمل على الحرية المطلقة لكل مواطن، حرية الإنسان في اختيار نظامه، حرية المرأة في مساواة الرجال في أمور السياسة والدولة، ومن هؤلاء العلماء فتاوى كبار علماء المملكة العربية السعودية تحت رئاسة الشيخ ابن باز. (١)

وفي المقابل هناك بعض العلماء الذين يرون أنه نظام لا يخالف أنظمة الإسلام وإن صدر من غير المسلمين، بل هو نظام يشتمل على بعض أنظمة الإسلام، من اختيار رؤساء مناسبين، وقوة تنفيذ الحكم على الكل، واحترام كرامة الإنسان، ومن هؤلاء العلماء الشيخ يوسف القرضاوي. (٢)

الغرض من هذا التمهيد هو أن نفهم مفهوم الديمقراطية، واختلاف موقف علماء الإسلام في الحكم على الديمقراطية.

أما ما يتعلق بالمتطرفين فإننا سنذكر الموقف الذي بني عليه عقيدة المتطرفين فيما يتعلق بالديمقراطية، وننظر في ذلك من خلال أهداف جماعة التطرف، تحت رئاسة زعيمها وآرائه في كتابه «هذه عقيدتنا ومنهج دعوتنا»، (٣) وبعد ذلك سنقارن ما ننقله بكلام كبار العلماء حتى نميز بين ما هو الصحيح وما هو الخطأ منها.

(١) اللجنة الدائمة للبحوث والفتوى، فتاوى اللجنة الدائمة، (الرياض: دار المعية ١٤٢٤هـ). سؤال رقم: ٤٠٢٩، ٤٠٦/٢٣ - ٤٠٧.

(٢) يوسف القرضاوي، الإسلام والديمقراطية.

<http://www.qaradawi.net/new/Articles-9596>

(٣) كل ما سنذكره في هذا المبحث فإننا سنعتمد فيه على هذا الكتاب، لكنه كتاب لم يذكر فيه اسم المطبعة، وسنة الطبع، ولذا لم نذكرها هنا، إلا أن من أراد التوسع فإن الكتاب موجود عند المهتمين بهذا الشأن.

شبهات المتطرفين حول الديمقراطية

في كتابه حاول زعيم التطرف تكفير كل من يتعامل مع الديمقراطية، عن طريق إيراد بعض الشبهات التي يرى أنها تكفي في إقناع القارئ لقبول ذلك، وفيما يلي ذكر هذه الشبهات والرد عليها باختصار:

الشبهة الأولى: الديمقراطية كفر.

الجواب: كل من استطاع أن يتحدث عن الديمقراطية بالنيابة عن الإسلام أو المسلمين عرف أنها غير وليدة من المسلمين، كما ذكرنا تاريخها سابقاً، لكن يجب ألا يقتصر المتحدث على الحديث عنها مجردة، وإنما الأهم من ذلك هو حكم العمل تحت نظامها. اختلف العلماء في الديمقراطية كما سبق، ومن أفتى بتحريمها فإنه لا يكفر من قام بها مباشرة؛ لأنه ثبت فرق بين العمل والعامل كما سبقنا لاحقاً.

الشبهة الثانية: الديمقراطية صنم العصر.

الجواب: ويعنون بذلك أن الديمقراطية طاغوت، والطاغوت في الشرع إما أن يراد به الشيطان كما روي عن عمر، أو يراد به كل شر من شرور الجاهلية لعبادة الأصنام والتحاكم إليها، وهذا في المعنى العام كما بينه ابن كثير رحمه الله. ^(١) ولا نختلف معهم هنا أن الديمقراطية قد تكون طاغوتاً، لكن الطاغوت لا يقتصر على الديمقراطية، بل هو شامل لكل ما عبد من دون الله. كما أننا لا نستطيع أن نحكم بإسلام الكافر الذي مر من المسجد ليصل إلى بيته، ولا نستطيع أن نكفر من مر بأمكن عبادة الأوثان إلى بيته.

(١) انظر: تفسير ابن كثير، دار الكتب العلمية، ١/٥٢٣.

الشبهة الثالثة: الديمقراطية دين عند من يتعاملون معها.

الجواب: هذا غير مقبول عند المسلمين؛ لأن المسلمين يتعاملون مع الديمقراطية على أنها نظام سياسي وإجراء لتنظيم الشأن العام وليس نظامًا تعبديًا.

الشبهة الرابعة: إن مصدر الديمقراطية من الكفار.

الجواب: إن كل مسلم يعرف ذلك، لذلك بدأنا بالتمهيد لمعناها وتاريخها، وليس هذا محل نزاعنا مع المتطرفين، لأن هناك أشياء وممارسات في المعاملات كثيرة أصلها من أوروبا لكنهم وافقونا على قبولها، والتعامل معها في الحياة اليومية.

الشبهة الخامسة: إن الديمقراطية شملت أنظمة تخالف حكم الله ورسوله.

الجواب: هذا أيضًا ليس محل نزاعنا مع المتطرفين، وعرفنا أن الديمقراطية ليست في القرآن ولا في الحديث، ولكن محل نزاعنا هو هل يوجد بعض الظروف التي تلزم المسلم بالتعامل مع الديمقراطية أم لا؟ وإذا تعامل المسلم مع الديمقراطية على وجه الإجماع هل نلزم حكم الردة عليه؟ وسنجيب على هذه الأسئلة لاحقًا.

الشبهة السادسة: أن التعامل مع الديمقراطية يدل على قبولها في القلب.

الجواب: لا شك أن اعتقاد حكم مخالف لحكم الله ورسوله على أنه أفضل من حكم الله، أو أنها مساوية لحكم الله، أو أن التحاكم إليها جائز ولو خالفت حكم الله، أن ذلك من الكفر ويحرم على المسلم اعتقاد ذلك.

لكن السؤال هنا هو: هل ثبت بأن كل المسلمين الذين يتعاملون مع الديمقراطية أنهم يعتقدون ذلك في قلوبهم؟ وهل يستطيع أحد أن يطلع على ما في قلب غيره ليحكم عليه؟ أو أن زعيم التطرف وأتباعه لديهم ما يقومون بتصفية القلوب؟ إذا كان الجواب لا، فالأولى أن ينفي للمسلمين كل ما ينفيه لنفسه هو وطلابيه، لأننا نعمل بالظاهر.

هذه بعض الأسئلة التي يجب الإجابة عنها قبل أن نسلم لكل من يزعم أن الناس يتعاملون مع الديمقراطية باعتقاد من القلب، لأن ذلك هو سبيل العدل بين المسلمين لا سيما في المعتقدات، فالإسلام علمنا أن نحكم على أنفسنا بما ظهر لا بما خفي، ولا يعلم ما في القلوب إلا الله تعالى.

وإذا لاحظنا ما حصل للنبي ﷺ في صلح الحديبية من قبول بعض الأحكام والعهود بينه وبين مشركي مكة رأينا أمثلة حية على ذلك، فمن العهود التي قبلها: مسح لقب النبوة، ومنعه من دخول مكة للعمرة، ورد كل من أسلم منهم، وذهب إليه النبي ﷺ، فهل يقول المتطرفون بأن ذلك من الكفر؟ قد قبل النبي ﷺ هذه البنود وعمل بها جلباً للمصلحة للإسلام والمسلمين، فما دام أنكم رضيتم أن قبول هذه البنود في الاتفاقية لا يلزم الكفر فإن مجرد التعامل مع نظام لا يستلزم قبول ذلك في قلوب المسلمين.

وهكذا يقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»،^(١) ولذا غضب النبي ﷺ من عمل أسامة مع أنه من أحب الناس إليه، وقال له: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟»^(٢).

فدل ذلك على عدم القطع بالحكم بما ظهر، وأن الأحكام تناط بالظواهر فقط. ومثال آخر هو قبول جماعة التطرف لعملة الدول التي تحكم بالديمقراطية، من غير تكفير هذه العملات! أم أن الحكومات والأشخاص هم الكفار فقط والنقود مسلمة؟ هذا يظهر تناقض زعيمهم وأعوانه في الحكم على الناس في هذه القضية.

(١) البخاري (١)، ومسلم (١٦٥٣).

(٢) مسلم (١٩٨).

الشبهة السابعة: استدلالهم بقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أن الديمقراطية تعني تأليه الشعب.

الجواب: الشيخ هنا بين حكم النظام الديمقراطي في منظور الإسلام، لا حكم التعامل معها أو العمل تحت نظامها، ففرق بين الحكم على الشيء والحكم على القائم بهذا الشيء، ولذا لما سئل الشيخ ابن عثيمين عن العمل تحت النظام الديمقراطي أجاب بالجواز، فقال: (ادخلوا، هل تتركون ذلك للعلمانيين والفسقة؟ ولما سئل عن ترشيح المسلم في النظام الديمقراطي أجاب بأنه يجب على المسلمين الغيورين الدخول فيها للإصلاح).^(١)

هناك أمثلة من نصوص القرآن والسنة في مثل هذا، وكل من لديه باع في العلم يعرف كيف يوازن ويوافق بين هذه الأدلة، مثالها: اختلاف الحكم بين حكومة الحبشة والنجاشي الذي رأس النظام الكافر وهو مسلم، ومثال الحكم على حكومة فرعون بالكفر والمؤمن الذي أخبر الله أنه يكتم إيمانه، وقد عاش تحت حكم فرعون، وأمثلة كثيرة على هذا المنوال.^(٢)

وإذا لم نحكم بذلك فإنه يجب إثبات التناقض للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (مما يلزمنا على ترك كلامه)، أو نحكم على أنفسنا بالهوى والجهل، ولا شك أن الجمع هو أولى في هذا الموقف، وإذا أخذنا بجواب واحد فقد عملنا مثل عمل اليهود،^(٣) وهو الذي يأمرنا المتطرفون بالابتعاد عنه، فلا حجة لهم في كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، والله الحمد.

(١) محمد بن صالح العثيمين، لقاء الباب المفتوح.

<https://islamqa.info/ar/107166>

(٢) سورة غافر، الآيات ٢٨ - ٣٠.

(٣) في قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾. البقرة ٨٥.

الشبهة الثامنة: إن الديمقراطية تسمح بالحرية ومخالفة أحكام الله.

الجواب: كما أسلفنا أن الديمقراطية تحقق الحرية المطلقة، وحرية الدين، وحرية التعبير، وغير ذلك، وأن نظرة الديمقراطية تخالف نظر الإسلام في هذه الحريات، أو بعضها، والإسلام أيضا نظم الحريات، لكن كما أسلفنا أن خلافنا معهم هو في العمل تحت النظام.

وعندما ننظر إلى الحرية في الديمقراطية، فنستطيع أن نقول هذه الحريات الديمقراطية هي التي سمحت للمتطرفين ببيان عقيدتهم والدعوة إليها حتى كثر أتباعهم،^(١) وبدأ النظام الديمقراطي بمحاربتهم لما نشروا الفوضى في البلاد، وحملوا السلاح على الشعب، وحاولوا قمع حريات الآخرين، لا من أجل عقيدتهم، مما يدل على أنه يمكنهم هم أيضا الاستفادة بالديمقراطية.

الشبهة التاسعة: إن الديمقراطية تسمح للشعب من دون الله بإيجاد حكم.

الجواب: وهذا أيضا ليس محل نزاعنا معهم كما سبق، نزاعنا على حكم العمل في البرلمان، أو أجهزة القضاء، أو المحامات، أو الوزارات التي تتعلق بذلك، والجواب هنا هو الجواب السابق الذي فرق بين الحكم على العمل والحكم على العامل.

الشبهة العاشرة: إن الديمقراطية بنيت على تفضيل من له غلبة لا الأصلح.

الجواب: عن هذا أيضا مثل الجواب السابق، وللتوسع وقراءة الأجوبة المقنعة حول الديمقراطية، اقرؤوا القسم الآتي لقراءة فتاوى كبار العلماء، أغلبهم ممن يستدل بأقوالهم أهل التطرف.



(١) يشار هنا إلى البند (٣٨) في الدستور النيجيري الذي يسمح بحرية الدين.

فتاوى العلماء حول الانتخابات أو الترشيح تحت النظام الديمقراطي

العالم الأول: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

لما أجاب عمن وجد نفسه تحت نظام أو سياسة غير إسلامية، وأجاب بجواز ذلك أو وجوبه للمسلم، للدفاع عن حقه وحقوق إخوانه ودينهم، حسب الظروف التي وجدوا أنفسهم فيها، وقد عذرهم الله على ما لم يستطيعوا تغييره مما يخالف حكم الله، وهذا نص كلامه: (الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَعَمْ إِذَا كَانَ مُجْتَهِدًا فِي الْعَدْلِ وَرَفَعِ الظُّلْمَ بِحَسَبِ إِمْكَانِهِ وَوَلَايَتِهِ خَيْرٌ وَأَصْلَحُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ وِلَايَةِ غَيْرِهِ، وَاسْتِيْلَاؤُهُ عَلَى الْإِقْطَاعِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِيْلَاءِ غَيْرِهِ، كَمَا قَدْ ذُكِرَ: فَإِنَّهُ يَجُوزُ لَهُ الْبَقَاءُ عَلَى الْوِلَايَةِ وَالْإِقْطَاعِ وَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، بَلْ بَقَاؤُهُ عَلَى ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ تَرْكِهِ إِذَا لَمْ يَشْتَغَلْ إِذَا تَرَكَهُ بِمَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ. وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَاجِبًا إِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُ قَادِرًا عَلَيْهِ. فَنَشْرُ الْعَدْلَ - بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ وَرَفَعُ الظُّلْمِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ - فَرَضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، يَقُومُ كُلُّ إِنْسَانٍ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَقُمْ غَيْرُهُ فِي ذَلِكَ مَقَامَهُ وَلَا يُطَالَبُ، وَالْحَالَةُ هَذِهِ بِمَا يَعْجِزُ عَنْهُ مِنْ رَفْعِ الظُّلْمِ).^(١)

العالم الثاني: الشيخ ابن باز رحمه الله. أجاب بقوله:

(إن النبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»، لذا فلا حرج في الالتحاق بمجلس الشعب إذا كان المقصود من ذلك تأييد الحق، وعدم الموافقة على الباطل، لما في ذلك من نصر الحق، والانضمام إلى الدعاة إلى الله،

(١) مجموع الفتاوى، ٣٠/٣٥٧.

كما أنه لا حَرَجَ كذلك في استخراج البطاقة التي يُستعان بها على انتخابِ الدُّعاة الصالحين، وتأييد الحق وأهله، والله الموفق).^(١)

العالم الثالث: الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

لما سُئِلَ عن حكم الدخول في البرلمان علمًا بأن أغلب من دخلها من الإسلاميين ورجال الدعوة فتنوا في دينهم؟ وأيضا ما حكم الانتخابات الفرعية القبلية الموجودة فيها يا شيخ؟!!

الجواب: (أنا أرى أن الانتخابات واجبة، يجب أن نعين من نرى أن فيه خيرا، لأنه إذا تقاعس أهل الخير من يحل محلهم؟ أهل الشر، أو الناس السليبيون الذين ليس عندهم لا خير ولا شر، أتباع كل ناعق، فلا بد أن نختار من نراه صالحًا، فإذا قال قائل: اخترنا واحداً لكن أغلب المجلس على خلاف ذلك، نقول: لا بأس، هذا الواحد إذا جعل الله فيه بركة وألقى كلمة الحق في هذا المجلس سيكون لها تأثير ولا بد، لكن ينقصنا الصدق مع الله، نعتمد على الأمور المادية الحسية ولا ننظر إلى كلمة الله عز وجل... فأقول: حتى لو فرض أن مجلس البرلمان ليس فيه إلا عدد قليل من أهل الحق والصواب سينفعون، لكن عليهم أن يصدقوا الله عزَّ وجلَّ، أما القول: إن البرلمان لا يجوز ولا مشاركة الفاسقين، ولا الجلوس معهم، هل نقول: نجلس لنوافقهم؟ نجلس معهم لنبين لهم الصواب. بعض الإخوان من أهل العلم قالوا: لا تجوز المشاركة؛ لأنَّ هذا الرجل المستقيم يجلس إلى الرجل المنحرف، هل هذا الرجل المستقيم جلس لينحرف أم ليقيم المعوج؟! نعم ليقيم المعوج، ويعدل منه، إذا لم ينجح هذه المرة نجح في المرة الثانية).^(٢)

(١) مشير عمر المصري، المشاركة في الحياة السياسية، (المنصورة: دار الكلمة، ٢٠٠٦)، ص ٢٣٥.

(٢) العثيمين، لقاء الباب المفتوح.

العالم الرابع: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

ما الحكم الشرعي في النصرة والتأييد المتعلقين بالمسألة المشار إليها سابقاً
(الانتخابات التشريعية)؟

الجواب: (... لا أرى ما يمنع الشعب المسلم إذا كان في المرشّحين من يعادي الإسلام وفيهم مرشّحون إسلاميون من أحزاب مختلفة المناهج، فننصح - والحالة هذه - كل مسلم أن ينتخب من الإسلاميين فقط، ومن هو أقرب إلى المنهج العلمي الصحيح الذي تقدم بيانه... أقول هذا وإن كنت أعتقد أن هذا الترشيح والانتخاب لا يحقق الهدف المنشود كما تقدم بيانه، من باب تقليل الشر، أو من باب دفع المفسدة الكبرى بالمفسدة الصغرى كما يقول الفقهاء).^(١)



(١) هذا النص من الفتاوى الصوتية للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله إجابة عن أسئلة وجهت إليه من الجزائر. أوردتها المجلة السلفية الصادرة بالسعودية. العدد ٠٣ لسنة ١٤١٨ هـ. ص ٢٩. ويمكن الحصول على المصدر الصوتي في:

الفصل الخامس

وجوب جهاد الكفار

تقسم جماعة المتطرفين المجتمعات إلى قسمين، دار الإسلام ودار الكفر، والراسخ في أذهانهم أن العلاقة بين الدارين هي الحرب فحسب، فيما أن يدخل الكفار في الإسلام أو يبادوا عن آخرهم، وهذا مفهوم من دروس وخطب شباب حركة التطرف، نلاحظ ذلك مثلاً عندما فسر زعيمهم قول الله تعالى في سورة التوبة الآية ٨: ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾، بقوله: (كيف تقولون بوجود عهد بيننا وبينهم، مع أنهم إن يثقفونا لا يرقبون فينا إلا ولا ذمة، هم يقتلوننا ولو خرجنا من بيت واحد، لذا لا تخشوهم ولا تدعوا أسلحتكم، يأمركم الله بأن لا تدعوا أسلحتكم، كونوا مستعدين دائماً...).^(١) فلاحظوا كيف فسر هذه الآية، وحاول الاستشهاد بقوله تعالى في سورة النساء، الآية ٧١: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوَانْفِرُوا جَمِيعًا ﴾، وقوله تعالى في الممتحنة الآية ١: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾، على أنه يجب على المسلم أن يقتل الكفار ويعاديهم، وأن الآية في الممتحنة تشمل جميع كفار نيجيريا اليوم.

(١) انظر هذا المقطع في هذا الرابط:

وكذلك قال في تفسيره الآية (١٢) من سورة التوبة: (كل من وصف كفار نيجيريا على أنهم من أهل الذمة فهو كاذب، ملعون، عالم سوء، ومن أعوان الشيطان، فكلما سبوا الإسلام فانظروا إلى أكبرهم واقتلوه، ثم اقتلوا من يليه، فإذا قتلتم الكبار فإنهم يسكتون عن هذا الهراء، ولو قتلتم عددًا قليلاً منهم... لا تبالوا بحرق الكنائس، اتركوا الكنائس لتكون مستودعات بعد الجهاد...).^(١)

ولما بدأوا بالجهر بهذه العقيدة، قام أحد زعماءهم الذي يظهر أنه في العشرينات، وبعد أن قتلوا ثلاثين من الذين أسروا، قال: (أذن الله لنا، من بداية الأمر، قام بعض الإخوة بأسر هؤلاء الناس، ورأينا أنه من الخطأ أن نقيدهم ونطعمهم، لكن الأولى أن يسيل الدم في كل مكان، وتحمر الشوارع، ثم إن رأينا أن نمسك الأسرى بعد ذلك فعلنا، وهذا ما سنقوم به في أي مكان، نقتل ونذبح ونفجر! هذا عملنا، فلقد عهدنا الله أن لا نسكن مع الكفار في دولة واحدة، ولا نجتمع في مكان واحد أبداً، إلا أن نعيش ويكونوا في القبور، أو يعيشوا ونكون في القبور).

هذا يدل على أنهم يفهمون أنه لا علاقة بين المسلم وغير المسلم إلا علاقة حرب وقتل، حتى يعيش أحد الأضداد على وجه الأرض، وهذا ما استمر عليه قائدهم إلى اليوم، إضافة إلى ذلك فإنهم يرون تكفير كل من خالف منهجهم من المسلمين، ويكفرون كل من توظف تحت الحكومة الكافرة، ويوجبون قتالهم، ويكفرون الجماعات الدينية في نيجيريا، مثل: جماعة إزالة البدعة، والقادرية،

(١) انظر هذا المقطع في هذا الرابط:

والتيجانية، ويعدونهم من المنافقين، كما يكفرون الشيعة، والمعتزلة، والمرجئة من الجماعات الدينية القديمة، ودليلهم في تكفير كل هؤلاء هو لأنهم رضوا بالعمل تحت الحكومة التي يعتبرها المتطرفون طاغوتًا، لأنها حكومة تعمل بالقانون الوضعي الديمقراطي الذي يخالف نظام الإسلام.

ولما سئل زعيمهم يومًا - سأله أحد طلابه الكبار - عن الخوارج والمعتزلة والمرجئة أفتى بأن جميعهم كفار، وتكفيرهم للطوائف الدينية في نيجيريا أمر شائع، وكذا تكفير كل من يعمل عملاً وظيفيًا مع الحكومة. (١)

يقول قائدهم في إحدى رسائله:

(نرجو من الذين يضرون هذا الدين ألا يلبسوا لباس الدين؛ لأننا لا نتركهم إلا عرفناهم، والله لا نتركهم، سنقتلهم كما نصلى الصلوات الخمس).

وإن مما يبين عقيدة المتطرفين ضد مخالفينهم، رسالة أرسلها قائدهم إلى كل العالم بقوله: (ثم إن هذه رسالة إلى جميع إخواننا في العالم أجمع، إن هذا العمل الذي نقوم به إنما هو امتثال لأمر الله، وهؤلاء الذين قتلناهم ليسوا مدنيين، فالله تعالى لم يقسم الناس إلى ثلاثة أقسام، وإنما قسمهم إلى قسمين فقط، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِّمُكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فلم يذكر في هذه الآية مدنيين، فإما أن تكون مسلمًا أو تكون كافرًا، وقد قمنا

(١) انظر هذا المقطع في الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=xthVNq9OKD0>

بقتل هؤلاء؛ لأنهم اختاروا البقاء في الكفر، لذلك فعلنا بهم ما ترون).^(١)
فيظهر جلياً مما سبق أنّ جماعة المتطرفين لا يعترفون بإسلام كل من لم يكن
منهم، وحكمه مع الكفار سواء، فإما أن يوافقهم في منهجهم أو يحلوا دمه.

الجهاد في الإسلام.

ستحدث في هذا المبحث عن معنى الجهاد، وأهدافه، وشروطه، كما سنبين
فيه حجج المتطرفين وفهمهم للجهاد وكلام العلماء المحققين في الرد عليها،
وسنبين في آخر المبحث تقسيم المجتمعات وآراء العلماء في ذلك.

معنى الجهاد.

الجهاد من الجَهْد أو الجُهد، وهو بذل الجهد والطاقة، والجهاد
والمجاهدة مصدران لقولك: جاهد، أي بَدَل الجُهد بالضم، وهو الطاقة
وتحمّل الجَهد بالفتح.

والجهاد هو بذل الوسع والطاقة في شتى الأمور المتعلقة بالنفس البشرية،
فطلب العلم جهاد: وذلك يعني أن يُجاهد العبد بأن يسعى لطلب العلم، ويبذل ما
بوسعه لتعلّم وتعليم أمور الدين، والسعي لذلك بكل ما أوتي من قوة؛ لتحصيل ما
يفيده في دينه ودنياه من العلوم جميعها، وخاصّة العلوم المتعلقة بالشرعية وعلومها،
والعلوم الطبية وغيرها من العلوم المهمّة للبشريّة، والتي لا بدّ منها لاستمرار الحياة
وبقاءها. والعمل جهاد: وهو بذل الجهد في الأعمال والأمور الصالحة من الأمور

(١) انظر هذا المقطع في الرابط التالي:

https://www.liveleak.com/view?i=115_1418995992

الديوية التي يُقصد بها التقرب إلى الله تعالى، أو تأمين القوت للتقوي على العبادات، أو توفير الكفاية له ولأسرته ومن يعول؛ لذلك سُميت أحكام الشرع تكاليف؛ لأنها لا تكون إلا ببذل الجهد والطاقة والوقت.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا العصر الذي كثرت فيه المنكرات جهاد، والصلاة على وقتها أيضاً من الجهاد، يقول الله تعالى في سورة العنكبوت، الآية ٦٩: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

لذا فإن من مقاصد الجهاد في الإسلام محاولة العيش بسلام في هذه الدنيا، ولقاء الله تعالى بقلب سليم لا مرض فيه ولا نفاق، كما في الحديث: «المجاهد من جاهد نفسه»،^(١) وكما روي أن رجلاً سأل النبي ﷺ، أي الجهاد أفضل؟ فقال: «كلمة حق عند سلطان جائر».^(٢)

وفي حديث عبد الله بن عمرو أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فسأله النبي ﷺ: أحي والداك؟ قال: نعم. فقال النبي ﷺ: ففيهما فجاهد،^(٣) وفي رواية: ارجع إليهما.

تكرر لفظ: الجهاد في (٢٤) آية في القرآن الكريم، وأغلب معانيه أنه يعني مجاهدة النفس، أو الهجرة والدعوة من غير سلاح، ولذا ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن الجهاد أربع مراتب:

(١) تحفة الأحمدي شرح جامع الترمذي، لعبد الرحمن المباركفوري، تحرير عبد الرحمن عثمان (القاهرة: مكتبة المعرفة، ن. د.)، الحديث (١٦٧١).

(٢) مسند الامام أحمد (١٨٤٤٩).

(٣) صحيح البخاري (٢٨٤٢)، وصحيح مسلم (٢٥٤٩).

إحداها: جِهَادُ النَّفْسِ.

والثانية: جِهَادُ الشَّيْطَانِ.

والثالثة: جِهَادُ الْكُفَّارِ.

ورابعتها: جِهَادُ الْمُتَافِقِينَ.

ثم قَسَمَ رحمه الله كل مرتبة منها إلى أربعة أقسام فصارت ستة عشر قسمًا.

أما القسم الأول: جهاد النفس، فذكر له أربعة أمور كما يلي:

أحداها: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ، وَمَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ شَقِيَتْ فِي الدَّارَيْنِ.

ثانيها: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يُضِرَّهَا لَمْ يَنْفَعَهَا.

الثالثة: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

الرابعة: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ^(١).

فجهاد النفس إذا هو أكد أنواع الجهاد، لأن الإنسان لا يستطيع أن يجاهد غيره إلا إذا جاهد قلبه ونفسه بطرد الشهوات، فالجهاد باللسان يشمل التعليم، والوعظ، والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد بالمال يعني استعماله في مساعدة الناس بالإنفاق عليهم في تعليم الحرف والصناعات، وبناء المدارس

(١) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (القاهرة: دار البيان العربي) ص. ٤٤٣.

والمستشفيات، ورعاية المرضى، والعناية بالمقابر، والدعوة إلى الله تعالى بتمويل المشاريع الدعوية وتمويل الدعاة والإنفاق عليهم وغير ذلك، والجهاد بالنفس فقط هو الذي يحتاج إلى حمل السلاح بشروطه وضوابطه.

وقد قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة، الآية ٢٨٦: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فالله عزَّ وجل لم يكلف عباده إلا بما يمكن لهم أدائه جهداً وبدلاً ووقتاً، فبذل الجهد لأجل العمل من أبواب الجهاد التي يؤجر عليها المسلم، ويستوي بذلك العمل القائم على العلم في العبادات والطاعات، أو العمل الدنيوي الذي يقصد المرء به الوصول إلى طاعة الله، والتقوي عليها، وتأمين قوته وقوت عياله، والجهاد يكون أيضاً بالصبر على مشاق وأتعاب الدعوة والصبر على ما يجده نتيجة دعوته ممن يدعوهم، والكلام على الصبر في الدعوة باب واسع جداً، وجهاد الشيطان يكون بدفع وساوسه، ورد ما يبثه في نفس المسلم من تزيين للمعاصي أو تعطيل عن الطاعات، ولجهاد الشيطان مرتبتان هما: جهاده بدفع ما يلقي في نفس العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان، وجهاد الشيطان بدفع ما يوسوس للمسلم من الشهوات والمعاصي.

وجهاد الكفار والمنافقين هو الجهاد المعروف؛ أي هو الجهاد المقصود عادةً عند ذكر لفظة الجهاد، بينما إذا أُريد من الجهاد غير هذه المرتبة، فإنها تُسمى صراحةً كأن يُقال: جهاد النفس، أو جهاد المعاصي، وغير ذلك.

الجهاد بالسلاح.

ستحدث بإسهاب عن هذا النوع من الجهاد؛ لأنه النوع الذي يشغل بال الكثيرين من جماعة التطرف، ليس لهم حديث سوى إراقة الدماء باسم الجهاد،

وهذا النوع من الجهاد معروف في الإسلام، لكن تجدر الإشارة هنا إلى أنه تمت اختلاف بين العلماء حول مفهوم الجهاد، حيث يرى بعض العلماء أن القتال هو الأصل في الجهاد، ذكر ذلك الإمام الجصاص في كتابه «أحكام القرآن»، وابن كثير في «تفسيره»، والدكتور وهبة زحيلي في كتابه «آثار الحرب في فقه الإسلام». والطائفة الثانية من العلماء ذهبوا إلى أن السلم هو الأصل بين المسلمين وغيرهم، من هؤلاء العلماء: الشيخ رشيد رضا في تفسيره «المنار»،^(١) وأبو زهرة في كتابه «العلاقات الدولية في الإسلام»،^(٢) ويرى بعض العلماء أن على المسلمين القيام بجهاد الطلب، بينما يفهم بعضهم أن المسلمين لا يقومون بشن غارات على غيرهم إلا إذا تعذرت كل وسائل السلم.^(٣)

أهداف الجهاد في الإسلام.

لا يفهم الإنسان الهدف الأساسي من الجهاد إلا إذا فهم السيرة بتوسع، وعرف كيف عاش النبي ﷺ والصحابة في مكة، بين ظهرائي المشركين الذين أذاقوهم أصنافاً من العقوبات والويلات، بالسب والشتم تارة، وبالضرب تارات أخرى، حتى لم يتمكنوا من إقامة شعائر الدين فضلاً عن إعلانه والدعوة إليه، وصار الناس يدخلون في الإسلام خفية لما يخافون من إتلاف أنفسهم وأموالهم، وانقطعت كافة الصلات وعلاقات الزواج ومعاملات البيوع بين المسلمين ومشركي مكة، واضطر المسلمون إلى مغادرة ديارهم والهجرة إلى الحبشة ومن ثم إلى المدينة.

(١) ٢٥٨/٢.

(٢) انظر: تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، ص ٤٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٧.

وكلما حاول أحد الصحابة بالثأر والانتقام لنفسه منعه النبي ﷺ، وقال له: «إني لم أؤمر بذلك»، واستمر المسلمون على هذه الحال حتى أنزل الله الإذن بالحرب في سورة الحج بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوْمِعُ وَيَعُوصَلَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيْسَ نَصْرَتُكَ اللَّهُ مِنْ نَصْرَتِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾

والظاهر أن هذه الآيات نزلت تسلياً للمسلمين عما لاقوه من الأذى والضرر من قبل المشركين، الذين اضطروهم إلى الهجرة والخروج من ديارهم، ووضحت هذه الآيات أن سنة الحرب هي دفع الظلم ودفع الناس بعضهم لبعض، وفيها دلالات واضحة على وجود ديانات أخرى غير الإسلام، وأن الله إنما ينصر من ينصره، الذين يجاهدون في سبيله، من غير إلحاق الأذى بالضعفاء أو إشاعة الفوضى وترويع الآمنين. ولم تذكر هذه الآيات إكراه الناس على الدخول في الإسلام، وفيها أن السبب الأساسي لفرضية الجهاد هو: استتباب الأمن ونشر العدل، وحرية الدين، وهي آيات لا تخص المسلمين؛ لأنها ذكرت صوامع وبيع اليهود والنصارى، وأن إزالتها من علامات انتشار الظلم بين الناس.

وقال الله تعالى في نظائرها في سورة البقرة في الآيات ١٩٠ - ١٩٤: ﴿وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْنَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِن قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِن أَنهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِن أَنهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ

وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعِدْهُ وَأَعْلِيهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٥﴾

تدل هذه الآيات على أمور، منها:

١ - إذن الله للمسلمين أن يقتلوا من قتلهم، ويقتلوا المشركين أينما ثقفوا من غير أن يعتدوا في كل ذلك، وإنما هو من باب: ﴿فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِقْتُمْ﴾.

٢ - إن الله تعالى لا يحب المعتدين.

٣ - إن إخراج الناس من ديارهم والاعتداء عليهم أعظم من القتل.

٤ - إنه يجب إيقاف الحرب عند زوال سببها.

هذه كلها تدل على أن الإسلام لم يفرض الجهاد لغرض القتل المستمر، وأن الهدف من الجهاد هو دفع الظلم، وحرية الدين، فإذا استوفت هذه الأمور توقف الحرب، والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]، وقوله تعالى في سورة النساء، الآية ٨٤: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكْفَ بِأَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾. وقوله تعالى في سورة النساء، الآية ٩٠ و ٩١: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوكُمْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾.

فإذا أمعنا النظر في هذه الآيات رأينا أن القتال فرض لسبب، وأنه يزول بزوال ذلك السبب، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كَلِمَةً﴾.

لِلَّهِ فَإِنِ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٩﴾. [الأنفال: ٤٩]، هذه الآية مثل قوله تعالى في سورة التوبة، الآية ٣٦: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾.

هذه الآية من الآيات التي يستدل بها زعيم التطرف في نفي السلم بين المسلمين وغيرهم، حتى إنه يصف كل من يقول ذلك بالنفاق، وأنه من أعوان الشيطان ومن المعتدين. ولا شك أن هذا تفسير باطل، يردده قوله تعالى في سورة التوبة، الآية: ١٢ ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾. فهي تدل أن الآيات نزلت على أناس اعتدوا على المسلمين، ونقضوا العهد الذي بينهم وبين المسلمين، فيلزم قتالهم لأن قتالهم سبب لحصول أمن المسلمين، وحرية دينهم، والاستدلال بهذه الآيات على نفي السلم والعهد بين المسلمين وغيرهم استدلال يخالف ما دل عليه السياق.

وهناك آيات أخرى أيضاً غير هذه، يتمسك به المتطرفون في الاستدلال، مثل قوله تعالى في سورة التوبة، الآية ٢٩: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، وقوله تعالى في سورة التوبة، الآية ١٢٣: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

فيرى المتطرفون ومن ينحو نحوهم أن هذه الآيات أمرت بقتل جميع الكفار ولا سيما الذين يلونهم؛ لأنهم يفهمون أن العلاقة الوحيدة بين الكفار والمسلمين هي القتل والحرب المستمر، وهذا فهم يخالف ما عليه السلف من الصحابة والتابعين.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾، أمر المسلمون بقتال الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، إذا قاتلهم هؤلاء الكفار. ^(١) فدل ذلك على أن المسلمين لا يقومون إلا بقتال من يقاتلهم، كما في آية النساء السابقة الذكر، ولم توجب الآية قتال الكفار بسبب كفرهم فقط، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾، فإذا قام الكفار بدفع الجزية والكف عن قتال المسلمين فإن المسلمين لا يقاتلونهم، بل لهم حق على دولة الإسلام أن تحميهم من الأذى والقتل، هذا هو الجمع بين الأحكام المذكورة في هذه الآيات.

ولم تفرض عليهم الجزية لأجل كفرهم فقط، وإنما دفعوها ليشاركوا المسلمين في حماية الدولة الإسلامية، ودفع الجزية دليل واضح على انقياد الكفار لدولة الإسلام وأنهم لا يقاتلونها، كما أن المسلمين أيضًا يدفعون بعض الضرائب مثل الزكاة والخراج، لذا فإن دفع بعض الأموال إلى الدولة ليس مختصًا بالكفار، ولو أن الغاية هي اختيار الجزية أو الإسلام لقال الله تعالى: (حتى يعطوا الجزية أو يسلموا)، ولكنه ذكر عكس ذلك، لأن دفع الجزية لا يعني الإسلام، بل هو الذي يسمح لهم بالبقاء على كفرهم تحت رعاية دولة الإسلام، وهذا مخالف تمامًا لتفسيرات جماعة التطرف لهذه الآيات.

أما قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾، فإنها تختلف عن الآيات السابقة، لأن الآيات السابقة تحدثت عن شروط الحرب والقتال، وهذه الآية تتحدث عن حيل الحرب لا عن غايته، وأنه إذا

(١) انظر: كتاب ابن تيمية، «قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتالهم لمجرد كفرهم».

كثير الأعداء حال الحرب فإن المسلمين يبدؤون بقتال الأقرب منهم حتى يفتحوا الطريق إلى قتال الأبعدين، وهذا التدرج من حيل الحرب والقتال.

ومن الآيات التي يستدل بها المتطرفون الآية الخامسة في سورة التوبة التي تسمى آية السيف، وهي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ﴾، وأن هذه الآية تحث على قتل الكفار وإبادتهم. لكن إذا أمعنا النظر في الآية، وتذكرنا حال المسلمين قبل فرضية الجهاد كما أسلفنا، فهمنا أن الآية تأمر المسلمين بقتال المشركين الذين قاتلوهم وأخرجوهم من ديارهم.

فنفهم من خلال ما سبق أنه:

أ - لا يوجد ولو آية واحدة التي حصرت الهدف من القتال في أمرين: إسلام الكفار، أو قتلهم جميعاً.

ب - إن هدف الجهاد هو منع الضرر، وحماية الإسلام، حتى يتمكن المسلمون من الحصول على حرية إقامة شعائر الإسلام.

ج - دلت الآيات القرآنية على أن الغاية من الجهاد هي: استتباب الأمن، وإقامة العدل والمساواة بين الناس، فإذا حصل ذلك تحتم إيقاف الحرب.

د - حذر القرآن من اتباع الهوى، والاعتداء في الحرب والقتال.

هـ - إن دفع الجزية لم يكن بسبب كفر الكفار، وإنما هو انقيادهم للدولة، ومشاركتهم المسلمين في حماية الدولة.

علاقة المسلمين بالكفار في الإسلام.

لقد رسمت لنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية منهاجاً واضحاً يسمح لنا

بالعيش مع غير المسلمين في محيط واحد، فمن هذه الآيات قوله تعالى في سورة الممتحنة، الآية ٨ و ٩: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ وَإِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوْلَوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾

وكذلك قوله تعالى في سورة المائدة، الآية ٥: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلْلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾، فإذا نظرنا إلى هذه الآيات رأينا أن علاقة المسلم مع أهل الكتاب الذين لم يقاتلوه؛ علاقة عدل وإنصاف، ورفق وإحسان، وأنها قائمة على مراعاة العدالة الاجتماعية، حتى أذن الإسلام بأكل طعامهم ونكاح المحصنات من نسائهم، فلو كان مراد الإسلام هو قتلهم جميعاً كما يزعم المتطرفون لما أحلَّ الله لنا أكل طعامهم ونكاح نسائهم وإنصافهم في الحكم. والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تحض على العفو، والدفع بالتي هي أحسن، والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والغريب في أمر المتطرفين هو دعواهم النسخ في آيات السلم، وأنها منسوخة بآيات الحرب والقتال، انظر إلى قول الله تعالى في سورة فصلت، الآية ٣٤: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾، وقوله تعالى في سورة النحل، الآية ١٢٥: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

فهذه كلها منسوخة في قول المتطرفين، وإن قوله: ﴿فَإِذَا نَسَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ

فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴿٥٠﴾
 وقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ ﴿٥١﴾ إنهما آيتان
 نسختا كل آية سلم في القرآن.

ويرى المتطرفون أن قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا
 تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَاجِبٌ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٥٢﴾، منسوخة بقوله: ﴿وَأَقَاتِلُواهُمْ حَيْثُ نَفَضْتُمُوهُمْ
 وَأَخْرَجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفَنَاءُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِن
 قَاتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾.

كما يرون أن قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلدِّينِ لِبَلَدٍ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ
 إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾. نسخ بدوره قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ﴾ ﴿٥٥﴾.

وكلام المتطرفين حول هذه الآيات مردود بكلام كبار المفسرين، منهم الإمام
 الرازي رحمه الله، قال رحمه الله: (وَهَذَا الْحُكْمُ مَا نُسِخَ بَلْ هُوَ بَاقٍ، فَثَبَّتَ أَنَّ قَوْلَهُ
 ضَعِيفٌ وَلِأَنَّهُ يَبْعُدُ مِنَ الْحَكِيمِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ آيَاتٍ مُّتَوَالِيَةٍ تَكُونُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا
 نَاسِخَةً لِلْآخَرَى).^(١) والظاهر أن قول المتطرفين هذا يفتح آفاقاً واسعة لأعداء
 الإسلام ليطعنوا في القرآن الكريم بالقول بوجود التناقض فيه، ولا تناقض في
 كلام الله تعالى، ولا يسلم لهم في القول بالنسخ في هذه الآيات، بل كل آية منها
 محكمة في محلها ومقامها، فأيات الحرب محكمة في وقت الحرب، وآيات السلم
 والقسط محكمة في وقت الحرب والسلم معاً.

شروط الجهاد.

الجهاد في الإسلام أمر مهم للغاية، لأنه متعلق بحياة الناس، ولذا بين الإسلام

(١) مفاتيح الغيب، للرازي، (٥/٢٨٩).

أهداف الجهاد وشروطه وضوابطه، وفيما يلي ذكر لبعض شروط الحرب والجهاد كما استقرأها العلماء من الآيات والأحاديث التي سبق ذكرها:

١ - الهدف من الجهاد في الإسلام هو حماية الأموال والأنفس، ودفع الأذى والضرر، وتحقيق العدل والمساواة وحرية الدين.

٢ - يجب أخذ كافة الاحتياطات لتجنب القتال، ويحصل إذا تعذرت كل وسائل السلم.

٣ - فرض الجهاد لإعلاء كلمة الله وليس للهوى أو الأغراض الشخصية.

٤ - يكون الجهاد تحت راية الإمام، إن وُجد، وهو الذي يعلن الجهاد، بعد مشاورة كبار العلماء.

٥ - يجب مراعاة آداب الإسلام في القتال؛ أن لا يقتل النساء والصبيان، وكبار السن، والمرضى، والذين اختفوا في الصوامع، وعامة الناس ما دام أنهم لم يدخلوا في الحرب.^(١)

٦ - لا يقتل الأنعام في الحرب، ولا يفسد الحرث والآبار والبحار.

٧ - لا يهدم بيوت في الحرب، ولا يخرب الصوامع والبيع إلا إذا اختفوا فيها لقتل المسلمين.

٨ - يحرم التدرع بالإنسان في الحرب، ويجب الإحسان إلى أسرى الحرب.

(١) ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ نهى عن قتل النساء والصبيان، وقال الإمام النووي: (أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا). انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (١٢/٤٨).

٩ - ليس من هدف الجهاد إكراه الكفار على الدخول في الإسلام، ويطلق من الأسرى كل من أسلم باختيار منه، أو فدى نفسه.

١٠ - لا يجوز المثلة بالميت في الحرب أيًا كانت ديانة ذلك الإنسان المقتول.

تقسيم المجتمعات إلى دار الإسلام ودار الحرب.

تقسم الجماعات المتطرفة العالم أو المجتمعات إلى قسمين: دار الإسلام (دار الأمن)، ودار الكفر (دار الحرب)، وبناءً على هذا الفهم وحسب زعمهم فإنَّ العلاقة الوحيدة بين الدارين هي الحرب، وسنبسط الحديث عن هذه المسألة ليفهمها القارئ فهمًا جيدًا.

دار الإسلام.

بداية نود أن نلفت انتباه القارئ إلى أن تقسيم المجتمعات إلى دار الإسلام ودار الكفر هو اجتهاد العلماء في القرن الثاني الهجري، وكان المسلمون وقتئذ يعيشون تحت ظل الدولة الإسلامية يرأسها الخليفة، إلا أنه في بعض العهود وجد في العالم أكثر من خليفة واحد لتوسع رقعة الإسلام أو حصول الخلافات فيما بينهم. وقد اختلفت آراء العلماء في المراد بدار الإسلام: فذهب الإمام مالك، والإمام الشافعي، وأبو يوسف والشيخاني من الحنفية إلى أن دار الإسلام هي: الدار التي يطبق فيها الشريعة الإسلامية، أو يحكم بها، أو يسمح للمسلمين بإقامة شعائر الإسلام فيها، ويرى بعضهم صلاحية إطلاق هذا المصطلح على دار طبق فيها ولو حكم واحد من أحكام الشريعة الإسلامية.

والمذهب الثاني مذهب الإمام الشوكاني الذي يرى أن دار الإسلام هي كل مكان تحت حكم ورعاية المسلمين. وقال أيضًا: (ودار الإسلام ما ظهرت فيه

الشهادتان والصلاة ولم تظهر فيها خصلة كفرية ولو تأويلاً... والاعتبار بظهور الكلمة فإن كانت الأوامر والنواهي في الدار لأهل الإسلام بحيث لا يستطيع من فيها من الكفار أن يتظاهروا بكفره إلا لكونه مأذوناً له بذلك من أهل الإسلام فهذه دار إسلام، ولا يضر ظهور الخصال الكفرية فيها؛ لأنها لم تظهر بقوة الكفار ولا بصولتهم، كما هو مشاهد في أهل الذمة من اليهود والنصارى والمعاهدين الساكنين في المدائن الإسلامية).^(١)

والمذهب الثالث هو مذهب أبي حنيفة، حيث يرى أن دار الإسلام هي: الدار التي يطبق فيها الشريعة الإسلامية ويعيش المسلمون وأهل الذمة فيها بسلام.

دار الحرب (دار الجور).

إذا اعتبرنا ما سبق بيانه عن دار الإسلام عرفنا أن دار الحرب هي عكس دار الإسلام بجميع تفسيراته، ففي المذهب الأول: إنها الدار التي لا يطبق فيها الشريعة الإسلامية وأن المسلمين لا يعلنون فيها بشعائر دينهم، ولا يعبدون الله فيها دون ضرر أو أذى.

وفي الرأي الثاني: إن دار الحرب هي الأماكن التي تكون تحت سلطان الكفار. وفي الرأي الثالث: إن دار الحرب هي التي لا يطبق فيها الشريعة، ولا يعيش المسلم والذمي فيها بأمان.

وبناء على كل المعاني السابقة، نفهم بأن إطلاق أحد الأسمين على مكان معين له علاقة بحرية الدين لدى المسلمين والعيش بينهم وبين غيرهم بأمان، أما

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني. العلاقة الدولية في الإسلام، لأبي زهرة، ص ٥٣.

إطلاق لفظة: دار الحرب فإنه لا يعني أن يهاجموا بالحرب، وإنما يعني أنه باستطاعة المسلمين أن يهاجموهم إذا لم يدخلوا في الهدنة مع المسلمين، وأن المسلمين لا يستطيعون إظهار شعائر دينهم فيها، وأن نفوس المسلمين فيها في خطر، كما عاش المسلمون في مكة في أول الأمر. وإذا لم تكن الدار دار إسلام لكن أهلها لهم عهد مع المسلمين، ويمنحون المسلمين حرية دينهم، فإن هذه الدار ليست دار حرب، وإنما هي دار الصلح.

دار الصلح.

هذا هو القسم الثالث الذي زاده الشافعية في القرن الثاني الهجري، لكن جماعة التطرف لا يذكرون هذا القسم؛ لأنه لا يوافق هواهم، دار الصلح هي دار الكفار التي عقدت ميثاق الهدنة مع المسلمين، ويمكن التوافق على هذا العهد من غير أن تدفع الجزية للمسلمين، بل إن ابن قدامة رحمه الله يرى أنه يجوز لدولة الإسلام أن تدفع شيئاً من المال مقابل الحصول على الأمن الدائم. وبعضهم يخالف في التقسيم فيقول: دار الصلح، دار العهد، ودار الموادعة.

وبناء على ما سبق نلاحظ أن نيجيريا ليست دار الكفر (الحرب)؛ لأنها لم تمنع من حرية الدين، ودماء المسلمين وأعراضهم ليست في خطر، وإن لم تكن نيجيريا دار إسلام فهي دار الصلح على أقل تقدير.

فتاوى العلماء عن حروب المتطرفين.

أجمع العلماء على أن الإسلام أمر بالجهاد من أجل الدفاع عن النفس، كما ذكر ذلك شيخ الأزهر السابق، ومن العلماء المعاصرين الذين منعوا مثل هذه الحرب والتفجيرات: شيخ الأزهر السابق محمد سيد طنطاوي، حيث قال:

(الإسلام لا يرضى بالفوضى، وهذه الهجومات ليس لها علاقة بتعاليم الإسلام)،
كما أنكر الشيخ أيضًا هجوم الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م. يقول الشيخ
حسين نصر: (الذين يعتدون في الغرب، أو في أي مكان باسم الجهاد يشوهون
الكلمة التي هي طاهرة في الأصل، وعملهم لا يكون جهادًا عند الرؤساء وعلماء
الدين المحققين).^(١)



(١) انظر:

“War and Peace in Islam: The Uses and Abuses of Jihad، Ghazi bin Muhammad، Ibrahim Kalim& Muhammad Hashim Kamali (UK: The Royal Islamic Strategic Studies Center، 2013).

الخلاصة

تناول هذا الكتاب الكشف والتحليل لأهم أفكار الجماعات المتطرفة. وهذا يشمل: شبهاتهم حول التكفير، ونظام التعليم الغربي (الرسمي)، والحكومات العلمانية وقوانينها، والديمقراطية، والجهاد.

الفصل الأول تناول الحديث عن تكفير هذه الجماعات لكل من يخالفهم في فهم الإسلام. تحدث الفصل أولاً عن الأساليب التي يتبعونها في التكفير، ثم انتقل الحديث إلى بيان عقيدة أهل السنة والجماعة (والتي يدعي هؤلاء الانتماء إليها) في الحكم على المعين بالتكفير وخطره، وضوابطه وموانعه، كما أشار إلى الذين لديهم الصلاحية في إصدار الحكم على المعين بالتكفير.

والفصل الثاني سلط الضوء على شبهات/آراء هذه الجماعات المتطرفة حول نظام التعليم الغربي (الرسمي). حاول الكتاب استقصاء أهم حججهم في ذلك، والتي تتمثل في: مصدرية هذا النظام من التعليم، ومحتويات بعض المواد المدروسة في هذا النظام، وكيفية إجراء وتطبيق هذا النظام في الواقع. ثم انتقل الحديث إلى بيان موقف الإسلام من طلب العلم مستشهداً لذلك بالأدلة من القرآن والسنة وأقوال العلماء. ثم قام الفصل بعرض وتحليل وإبطال حجج هذه الجماعات التي يعتمدون عليها في تحريمهم لنظام التعليم الغربي. وأخيراً، اختتم

الفصل بدراسة أقوال بعض العلماء الذين يستشهدون بهم في هذه المسألة، أمثال: الشيخ بكر أبو زيد، والشيخ صالح العثيمين، والدكتور سنوسي إغودا.

والفصل الثالث تحدث عن عقيدة هؤلاء المتطرفين فيما يتعلق بالخدمة المدنية تحت الحكومة العلمانية. ولتوضيح ذلك، فقد تم دراسة بعض الآيات القرآنية من سورة هود، ومحمد، والتوبة، وكذلك دراسة ستة أحاديث نبوية التي يستشهد بها هؤلاء في تحريمهم للخدمة المدنية تحت حكومة نيجيريا. كما تم إيراد وتشخيص رأي الشيخ مقبل الوادعي الذي يستدلون به في ذلك. واختتم الفصل بإيراد أقوال بعض الأعلام النبلاء التي تدل على جواز القيام بالخدمة المدنية تحت النظام العلماني.

أما الفصل الرابع، فقد خاض في الحديث عن آرائهم فيما يتعلق بالديمقراطية. ولتوضيح ذلك؛ فقد قام الفصل بعرض عشر شبهات لهذه الجماعات حول الديمقراطية مع بيان أوجه البطلان في كلٍّ منها. ثم واصل الحديث في عرض آراء عدد من علماء المسلمين المشهورين الدالة على جواز المشاركة في الانتخابات من أمثال: الشيخ ابن تيمية، الشيخ العثيمين، والشيخ أبو زهرة..

أما الفصل الخامس، فقد فصّل القول فيما يتعلق بالجهاد. أولاً، بأن أورد رأي المتطرفين في أن الجهاد عندهم يعني الحرب الدائم بين المسلمين وغير المسلمين (بما فيهم الذين كفرهم أولئك) إلى أن يظهر فريق على الآخر. وقد تم الإشارة إلى المعاني المختلفة للجهاد مما لا يقل عن ستة عشر معنى. وتحدث الفصل أيضاً على الأهداف السامية والغايات الحميدة لمشروعية الجهاد وكذلك شروط القيام به والعلاقة بين المسلمين وغيرهم فيما يتعلق بذلك. وأخيراً؛ قام الفصل ببيان المقصد من تقسيم الديار إلى: دار الإسلام ودار الحرب والآثار المترتبة على ذلك.



الخاتمة

من خلال فصوله الخمسة؛ تناول هذا الكتاب بيان وتحليل آراء الجماعات المتطرفة وكيفية استدلالهم بالنصوص الشرعية. وفي آخر المطاف؛ توصل الكتاب إلى نتائج هامة، منها:

١ - إن هذه الجماعات يستدلون بالأدلة من الكتاب والسنة في غير سياقها، ويسيون تطبيق النصوص كما يخطؤون في إيراد أقوال العلماء أيضًا.

٢ - إن هذه الجماعات تكفر المسلمين بلا مبرر ودون مراعاة الشرع حيث يغفلون عن الضوابط اللازمة توفرها والموانع اللازمة انتفاؤها في تكفير المعين وخطورة ذلك.

٣ - إن الحجج التي يستدل بها هؤلاء في تحريم نظام التعليم الغربي واهية ولا تمت إلى الإسلام بصلة. نعم، مع أن نظام التعليم الحالي في نيجيريا مليء بالمشكلات، إلا أن الواجب على المسلمين اتباع الخطوات اللازمة لتغيير ما يتنافى مع الإسلام من تلك الأنظمة بدلًا من نبذها كليًا.

٤ - إن موقف هذه الجماعات فيما يتعلق بالخدمة المدنية تحت الحكومة العلمانية موقف غير صحيح، ذلك لأن جميع الآيات والأحاديث التي يستدلون بها لتأييد هذا الموقف قد أساءوا الاحتجاج بها أو فهمها، كما أن استدلالهم بقول الشيخ مقبل الوادعي استدلال غير موضوعي.

٥ - إن موقف هذه الجماعات فيما يتعلق بمسألة الديمقراطية لا يزال مفتوحًا للنقاش. فكما يرى بعض العلماء جواز مشاركة المسلمين في الأمور السياسية وفي الانتخابات، فالبعض الآخر لا يرى جواز ذلك. ومن المعلوم أنه عندما يختلف العلماء في مسألة ما فإنه يجوز للمسلم اختيار الرأي الذي يعتقد أنه أكثر موافقة وأقرب انسجامًا مع الحالة التي يعيش فيها من دون أن ينكر/ يعاتب على الطرف الآخر الذي لا يرى رأيه. وعليه فلا يحل لأحد أن يكفر أحدًا بناءً على المسائل الخلافية. وإن سلمنا جدلاً بأن الديمقراطية محرمة في الإسلام، فإن ذلك لا يعني تلقائيًا أن كل من مارسها أو شارك فيها أنه يخرج بذلك من الإسلام.

٦ - إن نظرة هذه الجماعات حول الجهاد بأنه الحرب الدائم بين المسلمين وغير المسلمين (بما فيهم الذين كفرهم أولئك) نظرة خاطئة. فإن الجهاد مفهوم يتعدد معناه باعتبار السياق، وأحد تلك المعاني هي المناضلة بالسلاح. فالجهاد بمعنى حمل السلاح مقيد بحدود وضوابط وقوانين معينة في الإسلام والتي تجاهلها هذه الجماعات.

٧ - إن هذه الجماعات يفسرون النصوص الشرعية بشكل غير معهود كي تتوافق مع أفكارهم التي تم اعتناقها سابقًا.

٨ - إن آراء هذه الجماعات مبنية على نظرية تقسيم العالم إلى قسمين بحيث لا يسمح بوجود التنوع أو أفكار مباينة، بل يعتبر كل من يخالف رأيهم بأنه عدو لا يستحق سوى القتل.



التوصيات

- ١ - حتى يتمكن من القضاء على الغلو، فإنه يجب التركيز على أسبابه الجذرية لا على العنف الذي يحدثه فقط. وتعاليم الإسلام هي من أهم العوامل في ذلك.
- ٢ - للقضاء على الأفكار التطرفية بشكل فعال، فإنه يجب فهم هذه الأفكار بشكل دقيق كما تم عرضه في هذا الكتاب.
- ٣ - إنه يجب على علماء المسلمين الذين يثق بهم أعضاء هذه الجماعات أن ينشروا الرسائل المشتملة على الرأي المعاكس لتلك الجماعات.
- ٤ - إن وسائل الإعلام بجميع أنواعها يجب أن تكون فعالة ومتوفرة بحيث يمكن لهذه الرسائل المعاكسة الوصول إلى الجمهور المستهدف.
- ٥ - وهذه الرسائل يجب أن يصطحبها جهود جبارة في معالجة العوامل الاجتماعية الاقتصادية المؤدية إلى الصراعات، مثل: الفقر، والظلم، وسياسة التفرقة، والوكالات الشبابية.
- ٦ - كذلك يجب تأييد ودعم علماء المسلمين كي يستطيعوا القيام في محاربة هذه الأفكار التطرفية بشكل فعال.
- ٧ - يجب على علماء المسلمين القيام بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.
- ٨ - يجب على الآباء القيام بمسؤوليتهم في تربية وتعليم أبنائهم والعناية بهم

عنايةً تامة. كما يجب عليهم فهم شبّهات المتطرفين بحيث يساعدهم ذلك على فهم النزاعات التطرفية في أبنائهم.

٩ - ينبغي تدريب ودمج جماعات الشباب والنساء في عملية الحوار المعاكس حتى يتمكن الوصول إلى أكبر عدد من المستمعين.



الفهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	٤
تمهيد	٥
شكر وتقدير	٧
التقرضات	٩
المقدمة	١٥
الفصل الأول: عقائد وشبهات المتطرفين ومناقشتها، التكفير (تكفير أهل القبلة).....	٢٣
المسألة الأولى: موقف المتطرفين من تكفير المسلمين	٢٤
المسألة الثانية: بيان عقيدة أهل السنة والجماعة وموقفهم من تكفير المسلمين وخطورته ..	٢٥
المسألة الثالثة: شروط تكفير المعين	٢٨
المسألة الرابعة: موانع تكفير المعين	٣١
المسألة الخامسة: من يحق له تكفير المعين؟	٣٤
الفصل الثاني: تحريم التعليم الغربي	٣٥
موقف الإسلام من العلوم الطبيعية (غير الشرعية)	٣٧
فضل العلم في الإسلام	٣٨

مناقشة أدلة المتطرفين في تحريم التعليم الغربي	٤١
الفصل الثالث: العمل تحت الحكومات العاملة بالنظام الديمقراطي	٤٧
الفصل الرابع: الديمقراطية	٦١
شبهات المتطرفين حول الديمقراطية	٦٤
فتاوى العلماء حول الانتخابات أو الترشيح تحت النظام الديمقراطي	٦٩
الفصل الخامس: وجوب جهاد الكفار	٧٣
الجهاد في الإسلام	٧٦
معنى الجهاد	٧٦
الجهاد بالسلاح	٧٩
أهداف الجهاد في الإسلام	٨٠
علاقة المسلمين بالكفار في الإسلام	٨٥
شروط الجهاد	٨٧
تقسيم المجتمعات إلى دار الإسلام ودار الحرب	٨٩
دار الإسلام	٨٩
دار الحرب (دار الجور)	٩٠
دار الصلح	٩١
فتاوى العلماء عن حروب المتطرفين	٩١
الخلاصة	٩٣
الخاتمة	٩٥

التوصيات..... ٩٧

الفهرس..... ٩٩
